

المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية و الجمالية
IACSAS
The International Academic Center of
Sufi and Aesthetic Studies
المنهج اليقين في معرفة
مقامات الصديقين
خديم المنهج النبوي و النور المحمدي
عزيز الكبيطي الإدريسي الحسني
منشورات: المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية و الجمالية

فهرس الكتاب:

I. مقامات التسليم:

II. مقامات الإخلاص:

III. مقامات المحبة:

1/ مقام محبة وارث النور النبوي/ الشيخ المربي: ....

2/ مقام محبة ذات سيدنا محمد: ....

3/ مقام محبة روح سيدنا محمد وحقيقته الأحمدية: ....

4/ مقام إخلاص المحبة: ....

5/ مقام الفناء في محبة رسول الله: ....

6/ مقام محبة الله تعالى: ....

7/ مقام المحبوبية عند الله تعالى: ....

IV. مقامات الطاعة

مقامات طاعة المريد لشيخه:

1/ مقام الطاعة بالامتثال: ....

2/ مقام الطاعة بالإرادة: ....

3/ مقام الطاعة بالمحبة: ....

مقامات طاعة المريد للنبي صلى الله وسلم:

4/ مقام الطاعة بالتسليم: ....

5/ مقام الطاعة بالإخلاص: ....

6/ مقام الطاعة بالمحبة: ....

مقامات طاعة المريد الله تعالى:

7/ مقام طاعة الله عزوجل: ....

V. مقامات الخدمة:

1/ مقام خدمة الخلق بشكل عام : ....

2/ مقام خدمة دعوة الشيخ: ....

3/ مقام الإخلاص في خدمة الشيخ ودعوته: ....

4/مقام خدمة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: ....

5/ مقام خدمة دعوته صلى الله عليه وسلم: ....

6/ مقام خدمة سر رسول الله صلى الله عليه وسلم: ....

7/ مقام خدمة الله عز وجل: ....

VI. مقامات الفناء:

فناء الوسيلة:

1/ المقام الأول: فناء المريد في ذات شيخه: ....

2/ مقام الفناء في الروح: ....

3/ مقام الفناء في سر رسول الله: ....

فناء المقصود:

4/ مقام الفناء في ذات رسول الله:..

5/ مقام الفناء في روح رسول الله:...

6/ مقام الفناء في وجوده صلى الله عليه وسلم:........................

7/ مقام الفناء في الله عز وجل:...

VII. مقامات المشاهدة

1/ مقام التثبيت:..

2/ مقام مشاهدة الاختبار:...

3/ مقام مشاهدة الإيقان:...

4/ مقام مشاهدة الإرشاد:..

5/ مقام مشاهدة التحقيق (حق اليقين): ....

6/ مقام المشاهدة المحمدية:...

7/ مقام المشاهدة الإلهية:...

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد الله الذي علمنا من العلم ما ينفعنا وما تطيقه عقولنا وبين لنا مزالق الطريق إليه رحمة بنا، فإذا عرف المريد ما بَيَّنَاه في المرحلة الأولى فقد صار عارفا بأغلب مزالق الطريق، وما عليه الآن هو أن ينفض غبار الكسل عن قلبه لتهيج همته بنور من ربها، وبعزم يحول بينه وبين تلك المهالك حتى يسلكها بإذن الله ويَمُرَّ منها بأمان لينتقل إلى المرحلة الثانية في سيره إلى الله عز وجل وهي مرحلة ما بين المريد وشيخه حيث لا يبقى للمريد وجود مع شيخه فيفنى بفناءه ليبقى ببقاء فناء شيخه، ويُحَصِّل مقْصُودَه الذي تَحَمَّل عليه كل هذه المصاعب والمزالق ليصل إليه.

وهذه المرحلة الثانية هي كمال في تربية المريد، بحيث إن المرحلة الأولى أساسيات ومبادئ في السير إلى الله تعالى، ونبدأ بإذن الله تعالى في مقامات التسليم.

I. مقامات التسليم:

حيث يُفْنِي المريد تسليمه في تسليم شيخه لربه ويدخل في اختبارات وابتلاءات من الله عز وجل يَخْتَبِر فيها تسليم المريد مرة بتضييق رزقه أو بابتلاءه في صحته أو نحوها من الابتلاءات ليُجَرِّب تسليم المريد ورضاه بقضاء الله وتسليمه لأمره، فإذا سَلَّم المريد ثبتت هذه الصفة فيه فصارت مقاما فيسري نورها من الله عز وجل المُتَجَلِّي في صفة القادر والمُتَصَرِّف والمريد عن طريق صفات سيدنا محمد لِتَرْسَخَ في نفسه صفةُ التسليم ويترقى في مقاماتها، كما أنه ليست هناك نهاية لتلك المقامات ففي كل مقام يزداد المريد تسليما لله ومَعْرِفة به فيتحصل على فضائل ذلك؛ وهو فناء المريد بصفة التسليم في ربه فيرتاح بَالُه ويطمئن قلبُه ويخضع لتصرفات الله عز وجل بالإخلاص والعبودية وهذا هو المقصود من مقام التسليم.

لكن هذا المقام لا يتحصل لدى المريد حتى يُسَلِّم لشيخه بداية . وقد سبق أن فصلنا الكلام في ذلك وتلك من أبجديات السير. ثم يُسَلِّم بتسليمه للشيخ إلى رسول الله ويُطِيع سنته ويَتَّبِع كل ما أمر به دون تفكير ولا اعتراض حتى تَخْضَع نفسه وعقله وقلبه وروحه إلى أمر رسول الله فَتُسَلِّم له، وبهذا التسليم يَتَرَقَّى المريد إلى درجة التسليم لله عز وجل باختباراته وابتلاءاته ونحوها.

والتسليم لله تعالى هو سبع مقامات كبرى، ولكن لا نهاية لتلك المقامات كما بَيَّنَا من قبل، لأنه كلما زاد التسليم زاد الابتلاء من الله عز وجل، وكلما زاد الابتلاء زاد التسليم حتى يَرْسَخ المريد في هذا المقام، ثم يترقى بعد ذلك كل لحظة في تسليم غير التسليم الذي كان من قبل.

والمقام الأول من مقامات التسليم لله عز وجل وهو: مقام التسليم بالمقال.

1/ مقام التسليم بالمقال:

في هذا المستوى تجد المُرِيدَ حامدا لله شاكرا له مسلما لقضاءه بلسانه في كل ما حصل له، سواء أوافق ذلك مرغوبه أم نافاه، لكن باطنه لم يَصْفُ بعد لذلك، وفي هذا المقام قسمين:

أ/ التسليم باللسان في المناجاة مع الله عز وجل وخطاباته الأحدية معه:

ويكون المريد في هذه الدرجة قد ترقى لمرحلة يخاطب فيها الله عز وجل بواسطة شيخه ـ لهذا فهو الآن في مرحلة ما بينه وبين شيخه ـ فتجده مُسَلِّمًا له في خطابه وفي مناجاته ولا يعترض على أمره في الدعاء، فإذا قضى الله شيئا لا يدعو بعكسه تسليما لأمر الله تعالى ورضاءً بقضاءِه، وإنا يدعو الله ويناجيه بما يوافق ذاك القضاء ولا يعترض عليه في الدعاء كأن يطلب عكس ما حدث، وهذا ليس لعامة الناس، بل إنه للعارف الذي يرى في ذلك المقام بأن كل ما حصل له أو للعالم أجمع هو قضاء من الله عز وجل وليس لغيره، فإن المُؤمن إذا نزل به بلاءٌ أو ضرر دعا الله أن يكشف عنه ذاك الضرر لأنه في الحقيقة لا يراه عين اليقين أنه منه، بل إنه يراه بسبب فلان أو أن ذلك ما حدث.. رغم أنه يُقِرُّ بأنه بإذن الله لكنه ليس بقضاءه لهذا يدعوه ليغير ذلك القَدَر جهلا منه بهذا المقام، ولكنه لا يحاسب على ذلك فالدعاء له بما شاء مستحب. ولكن إذا بلغ المريد لمقام الولاية فوَلَّاه الله بولايته صار لزاما عليه أن يتحلى بهذه المقامات ويترقى في هذه الدرجات ليتصرف فيه الله بأمره كما يريد. وإلا كيف يتصرف فيه الله وهو لازال في قلبه أو في مقاله رغبة أو اعتراض لغير ما قضاه الله تعالى، فدعاء المريد العارف لرَبَّه بتسليم المقال في هذا المستوى يكون بما يوافق قضاءه وليس بما يعارضه؛ فمثلا لو طلب منه الناس الدعاء فإنه يرى وينظر إلى حكم الله فإن كان قضى أو سيقضي بشفاءه

فإنه يدعو له بالشفاء، وإن رأى أن الله لن يَشْفِيَه وأنه ليس له مَفَرٌّ من لقاء الله فإنه لا يدعو له بالشفاء لأنه مُسَلِّم إلى الله بمقاله، في حين يفعل ذلك عامة المؤمنين. لكن من ارتضاه الله لهذا المقام فإنه يُسَلِّم إلى الله بمقاله لا يعترض عن قضاء ربه فيما أَمَر، وفيما قضَى وحَكَم.

ب/ تسليم المريد العارف بمقاله في حديثه مع الناس: فتراه لا يعترض على الله فيما حكم، وقلبه ولسانه مطمئنان بذلك فيرى الناس منه رضًا بقضاء الله ولو تخالف ذلك مع ما يرونه أنه خير. فَفَهْمُ المريد للخيرية في هذا المقام بغير ما يفهمه الناس فيرى أن الخيرية فيما حكم الله وقضى فيُسَلِّم له في ذلك، ولا يرى الخيرية فيما يريده لنفسه من مال أو رزق أو عِز أو جاور ذلك... بل إن كل ذلك ينتفي من قلبه بتسليمه لله عز وجل؛ فإذا سئل عن حاله حمد الله وقال أنه في نعمة وفي كل خير لأن ما قضاه الله هو الخير وهو مُسَلِّم له في ذلك ولو تنافى مع حاجاته البشرية فترى لِسَانَه دائم الذكر لله، دائم الحمد له، لا يُطْلِع الناس عن ما حصل له من مشاكل أو هموم أو ضيق في الرزق.

في المستوى الثاني لا يطلب بلسانه المساعدة أو العون من أحد من الخلق، كيف وأن الله قضى أمره في ذلك، فإن في طلبه بلسانه مساعدة من أحد اجتراءً على أمر الله واعتراضًا عليه ، ومثال ذلك: أنه إذا قضى الله عليه بالعقم طلب من أحدهم أن يسمح له بتبني ولده، فذلك محاولة اعتراض على أمر الله. أو إذا قضى الله عليه بالفقر أراد أن يعاند قضاء الله ولو بلسانه بطلبه العون من أحدهم. فلا يعارض حكم الله في ذلك وتجده دائما ناظرا إليه راضيا به مسلما لما أراد الله به، حاله من اختيار الله ومقاله طائع لأمر الله فهذا هو التسليم لله بالمقال، وذلك ما اخْتُصَّ به الأولياء الصالحون وخاصة السالكين ويستبعد أن يَزِيغ المريد العارف في هذه المرحلة إلا ناذرا جدا، والحمد لله رب العالمين.

2/مقام تسليم الفؤاد:

ننتقل بإذن الله تعالى إلى مقام التسليم الثاني وهو التسليم بالفؤاد حيث إن المريد في هذه الحالة يُسَلِّم بقلبه لكل ما يطرأ على حاله وعلى حال غيره من تقلبات حَكَمَ بها الله عز وجل في علمه؛ ففي المقام الأول تجده مُسَلِّما لها بلسانه وهذا التسليم لها باللسان يجعل نور هذه الصفة يَسْتَقِرُّ في قلب هذا المريد وتَتَرَسَّخ مقاييسها في نفسه فتجد قلبه خاضعا لأمر الله تعالى مُسَلِّمًا له لا يعترض عليه بقلبه ولو بخاطر خارجي يخطر عليه، بل حينئذ يكون نور التسليم قد اكتمل في قلبه فيصير قلبه متوجه لله راض به وبقضاءه، فيرضى عليه الله عز وجل فيكون حكم الله موافقا لما يُرِيد عبده لأن إرادته قد فنيت في إرادة الله عز وجل فصار يريد ما يريد الله، وإذا أراد ما يريد الله حكم الله بما يريد لنفسه وهو نفسه ما يريد عبده.

ولكن لا يستقر هذا النور في القلب إلا بعد ابتلاءات يَمُرُّ بها المريد واختبارات تَفْحَص صدق تسليمه لله عز وجل، ويكون ذاك الفحص دقيقا جدا حتى يتأكد من تسليمه التام لشيخه، فحينئذ يُسَلِّم لله تعالى تسليما تاما ويستقر ذاك التسليم فلا يتزحزح بعدها أبدا، واحتمال الفشل في هذه الاختبارات ضئيل جدا بل إنه معدوم لأنه إذا صَدَقَ تسليمُه لشيخه صَدَقَ تَسْليمُه لله عزوجل، وإذا جمع المريد بين التسليم لله بلسانه والتسليم لله بقلبه فإن نور التسليم يكتمل ويَرْسَخ بعد الاختبارات ليترقى المريد إلى مقامات أخرى من التسليم، والحمد لله رب العالمين.

3/ مقام الفناء عن التسليم:

أما المقام الثالث في التسليم هو فناء المريد عن تسليمه ولكي يفنى عن تسليمه يجب أن يفنى عن رغبته ومراده لأن الفناء عنهما يجعله بلا تسليم لأن المُسَلِّم تكون له رغبة أخرى لكنه يُسَلِّم لرغبة الله، إلا أنه إن لم تكن له رغبة ولا مراد فوق مراد الله عز وجل فإنه لا تسليم له، وبذلك يكون المريد قد فنا عن تسليمه، وهذا الفناء يتم من خلال ثلاث مستويات:

المستوى الأول: الفناء عن الرغبة:

فبِفَنَاءِه عن رغبته تنتفي أي رغبة لدى المريد غير ما يريده له الله عز وجل، فلا يريد شيئا لنفسه ولا شيئا لغيره ولا شيئا لأي أحد.

المستوى الثاني: الفناء في التسليم لسيدنا محمد:

بالفناء في التسليم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأن تسليم العبد منسوب إلى نفسه وتسليم سيدنا محمد منسوب إلى ربه ـ بل إن سيدنا محمد كله منسوب إلى ربه حيث يخاطب برسول الله ـ فكل ما منه وما جاء به وما في داخله فهو منسوب إلى الله، والفناء في تسليمه هو التسليم لله بالله. أما تسليم المريد فيظل مرتبطا بنفسه منسوبا إليه وهذا يجعله لا يتحقق بحقيقة التسليم بعد رغم أن نوره اكتمل في قلبه، ولكنه يكتمل بالفناء في تسليم رسول الله صلى الله عليه وسلم المنسوب إلى الله والمنزه عن كل شيء غيره.

المستوى الثالث: موافقة ومحبة إرادة الله بلا تسليم:

بموافقة المريد ومحبته لإرادة الله فهذا يجعله مسلما له بلا تسليم كذلك، حيث إنه إذا أحب قضاءه وتصرفه في الكون فقد فنا عن تسليمه، لأن تسليمه هو الرضا بقضاء الله وليس محبة قضاءه والغوص في قضاءه، فذلك تسليم بلا

تسليم، فيبدأ المريد تدريجيا بالانتساب إلى ربه وقطع نسبه وكل ما ينسب إليه. ولازال بعد هذا مقامات يدركها العارفون و يغوصون كل يوم في مقام بفضل ربهم.

وخلاصة القول؛ فإن نسبة التسليم لنفس المريد نقص في التسليم، بل وعدم التسليم، لأن وجود التسليم هو دليل على أن هناك إرادة مغايرة لإرادة الله تعالى، ونسبة التسليم لله هو كمال في التسليم كما أراد هو، والحمد لله رب العالمين.

4/ مقام التجريد من التسليم بمعرفة إرادة الله:

المقام الرابع في التسليم هو معرفة إرادة الله تعالى وتجرد المريد من نفسه ففي هذا المقام يصير المريد ناظرا إلى إرادة الله وتصرفه وعظمته وملكه فيرى أن لا أحق منه في الكون بالتصرف فيه، وأن ذلك مُلْكُه والكون كَوْنُه والخلق خَلْقُه يتصرف فيهم كما شاء وبما أراد، فيعلم صفة القدرة والإرادة في الله عز وجل فتتجلى عليه أنوارهما فتجعلانه عارفا بأحقية الله وبإرادته وبأنه هو يفعل ما يريد في خلقه وفي أمره؛ فذاك خَلْقُه وذاك أمْرُه، فإذا وقع بصر المريد على أنوار تصرف الله في الكون فذاك تسليم في مقام عال جدا حيث إنه فوق مرتبة التسليم بلا تسليم، بل هو تسليم بالمشاهدة والمعرفة العِيَانِيَة الحقيقية أن الله هو الأحق بالتصرف في الكون فيرى تصرفاته وحكمه فلا يطيق إحصاءً لها ولا عَدًّا ولا مَعْرِفة، فيدرك أن حكمة الله لا يعلمها غيره، ويترقى في مقامات التسليم كلما ذاق حكمة من حكم الله عز وجل. فهو حينئذ في مشاهدة فَانٍ عن نفسه، ناظرٌ إلى الله ليس ناظرا إلى الخلق.

وهذا أعلى من المستويات والمقامات السابقة لأن التوجه الكامل يكون فيه لله عز وجل وليس لقضاء الله، فقضاء الله عز وجل من قَبْلُ يربط المريد بالله

ويجعله يترقى في مقامات التسليم، وأما في هذه المرحلة فإنه يتوجه إلى الله دون أن يرى أو يَلْتَفِت إلى قَدَرِه وحُكْمِه فَيُفَوِّض الأمر إلى الله ذلك حكمه، فلا يلتفت عن الله لأي وجهة أخرى لا إلى حكمه ولا إلى خَلْقه، بل يغرق في صفاته ويشاهد أنوار تصرفها في الكون بفضل الله تعالى ورحمته، فيعلم أن رحمة الله شملت كل خلقه وأن كل ما يتنزل به عليهم من رحمته، وأن كل ما يريدونه لأنفسهم شر لهم، ولولا رحمته لأعطاهم ما في أنفسهم لأُهْلِكُوا، لكنه وهو الرحيم أراد أن يعطيهم ما هو أهل له، فهو عز وجل يعلم أن الضرر في اتباعهم لأنفسهم، فلم يَكِل لهم الأمر كُلَّه لأنه لو أوكله إليهم لهلكوا باختيارهم لما يريدونه لأنفسهم، ولكنه اختار لهم برحمته ما هو خير لهم في دينهم ودنياهم وأخراهم، ولا أحد أعلم بهذا منه سبحانه لهذا فإن اعترض الخلق فقد اعترضوا لجهلهم، هذا والحمد لله رب العالمين.

5/ مقام التسليم باليقين:

أما المقام الخامس في التسليم فهو مشاهدة العبد لِحِكَم الله عز وجل ولتجليات صفاته بالحِكْمَة على خَلْقِه، حيث يَرَى أن كل ما يَتَنَزَّل على الخلق من صفات الله عز وجل بالحكمة: إما يتجلى البسط بالحكمة، أو القبض بالحكمة، أو العطاء بالحكمة، أو المنع بالرحمة، فتظل صفاته تتجلى عليهم إما بحكمة أو رحمة: فيَعْلَمُ الحكمة بعْضَها دون أن يحيط بها، ويذوقُ الرحمةَ بعضَها دون أن يحيط بها كذلك، فهذا ما يسمى بمقام التسليم باليقين لأن العبد يرى تسيير الله عز وجل للكون عن طريق تجلي صفاته بالرحمة أو الحكمة.

فأما الحكمة باب لا يطيق مَعْرِفَتَه الخلق، وإنما يَغْرِف بعضا منه العارفون برحمة ربهم ـ واطلاعهم عليه لا بعملهم ولا بمعرفتهم ـ لأن تلك في الحقيقة ليست خُصُوصِيَةً لهم وإنما خصوصيةٌ لله فيهم، حيث خصهم بالمعرفة وبالذوق وبالتجلي ما لم يَخُصَّ به سائر عباده، وذلك ثمرة لسلوكهم وصبرهم على مشاق الطريق

واجتيازهم لمهالكها وصعوباتها، فَيَخُصُّهُم الله بهذا الفضل ولا يأذن لهم باطلاع أحد من عباده عليه، إلا من شاء أن يطلعه بهم وعن طريقهم فذلك شأنه.

فإذا شاهد المريد هذه التجليات فإن يقينه يرسخ في مرحلة ليس بعدها يقين أكبر وأي يقين أكبر من هذا، وفي هذا المقام يستحيل الاعتراض على أمر الله ويستحيل التسليم له لأن العبد في هذه الحالة مَسْلُوبٌ عن ذاتِهِ غَارِقٌ في تَجَلِّيَات صفات ربه، وكل يوم هو في مقام أعلى فلا منتهى لهذه المقامات، والحمد لله رب العالمين.

6/ مقام التسليم بلا مشاهدة:

المقام السادس في مقامات التسليم وهو مقام التسليم لله بلا مشاهدة، وهو مقام أعلى من التسليم لله بالمشاهدة لأن المشاهدة تصير حاجبة بينه وبين حقيقة التسليم لأنها تطمئنه و تبرهن له عما يريد الله عز وجل، وبهذا يكون مُسَلِّما للمشاهدة وليس لله عز وجل، ولو كانت المشاهدة في تجلي الأسماء والصفات لأنها تبقى مشاهدة مُغَايِرَةً لحقيقة تصرف الله في الكون، ولا يطيق أحد بذلك إحاطة وإنما يُقَرَّبُ له عن طريق تجليات بعض الصفات ليطمئن قلبه، ولكن إذا استكان لتلك المشاهدات فإن التسليم لا يَخْلُصُ في قلبه، ويكون بينه وبين التسليم شائب؛ وهي المشاهدات. لهذا وجب على المريد أن يُزِيل هذا الشائب من قلبه ليترقى إلى مقام التسليم لله من أجل الله، وليس بما يُشْرِق في بصيرته من تجليات.

والمريد لا يترقى إلى هذه الدرجة إلا عن طريق ثلاثة أمور وهي:

الأمر الأول: أن تستوي عنده المشاهدة مع غير المشاهدة. فمثلما شاهد أو لم يشاهد فهما على حد سواء، لأنه مع الله يراه وهو إن كوشف فتلك بعض تجليات الله تنزلت عليه، وهي تَحْجُبُه عن الله لأن: أين الله فيها؟ إذن فهو محجوب

عن الله، وإن لم يشاهد فإنه يرى الله عز وجل لأن الله يستحيل رؤيته، فإذن هو بالمشاهدة محجوب وبعدم المشاهدة محجوب.

والأمر الثاني: هو أن يَنْزِعَ المريد من قلبه التشوف لمعرفة الحكمة من قضاء الله عز وجل بِحُكْمِه في مُلْكِه، أما إذا بقي متشوفا طالبا للحكمة بقي متعلقا بالحكمة و بالمشاهدة، فإذن هو لا يُسَلِّمُ إلا لهما بذلك، ولا يُسَلِّم لله عز وجل وهذا مقام عال جدا من التسليم.

أما الأمر الثالث هو الارتباط الكامل للمريد بالله عز وجل وليس بتجلياته أو أحكامه أو شرائعه فتجد قلبُه مُتَوَجِّهٌ بالكلية لله عز وجل ولو كان يشاهد فإنه لا يرى غيره، وإن لم يكن فإنه لا يرى غيره كذلك، فَيَرْسُخ المريد في هذا المقام العالي من التسليم: فَيُسَلِّم لله دونما حاجة إلى مكاشفة أو إلى برهان من الله عز وجل، وهذا مقام الأولياء الصالحين، والحمد لله رب العالمين

7/ مقام التسليم لله لله:

أما المقام السابع والأخير هو التسليم لله لله، وهذا المقام لا يصله إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وخَاصَّةُ خَاصَّةِ من ارتبط به من الأنبياء والصديقين، فهو مقام تسليم بلا تسليم، واتصال بلا مشاهدة، ومشاهدة بلا اتصال؛ فلا البرهان يُبَرْهِن قضاء الله، ولا التجلي يحيط به، ولا الفُهُومَات تُطِيقُه، ولا الأنوار تُطِيق نوره. فذلك أمر من الله وإليه كما شاء الله وكما أراد ، وهو مقام الفناء في ذات الله تعالى فَنَاءً بلا جسد ولا صورة، دون حجاب وليس بلا حجاب، إنما هو حجاب الفهم مَسْبُولٌ على ذات الرحمن في قلب حجاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. يرى العارف ما يراه بذلك الحجاب، ويُحْجَبُ عنه ما يُحْجَب عنه بذلك الحجاب؛ فهو حجاب ليس كالحجب، ومقام ليس كالمقامات، بل إنه حجاب

كاشف، ومقام صادق يرقى إليه من اخْتَصَّهُ الله بذلك حَنَانَة منه ولُطْفا به، فهناك يَفْهَمُ العارف ما يَفْهَمُه دون أن يفهم، فقد تخلص من فهمه وفنا عنه في المقام الثالث من التسليم، وأخذ يَفْنَا عنه في كل مقام؛ فهو حينئذ قائم بفهم ربه ليس بفهمه، وإذا تَنَزَّل الله بأمره في صِفَاته إلى كونه تَنَزَّل قبل ذلك في قلب عبده، فيَعْلَمُ ويَفْهَم ما تَنَزَّلَ الله به كشفا بلا مشاهدة، وفهمًا بفهم الله وهو ليس فهم الله، ولكن إذا فنا عن فهمه وعلمه يبقى بفهم ربه، و ذلك الفهم ليس فهم الله عز وجل بل إن فهمه أكبر من ذلك لا تطيقه العقول ولا القلوب، ولله في ذلك شؤون يَعْلَمُهَا هُوَ بعلمه، ويُطْلِع عليها من شاء من عباده فَضْلًا منه ورحمة وحكمة، والحمد لله رب العالمين.

II. مقامات الإخلاص:

ننتقل بإذن الله تعالى إلى توضيح بعض مقامات الإخلاص. الإخلاص هو القصد من فعل الشيء والهدف منه؛ فإذا أخلص العبد في عبادته لله تعالى فقد جعل قصْدَها ومَحَلَّ توجهها إلى الله تعالى، فنقول ذلك مُخْلِص، وأما إذا عبد الله تعالى وجعل نيته وقصده شيئا آخر كالسمعة والرياء نقول ذلك غير مخلص فهذا الإخلاص بشكل عام بالنسبة لعامة الناس. أما الإخلاص عند العارفين فهو سبعة مقامات إذا وصل إليها المريد فقد وصل إلى الله عز وجل.

1/ مقام الإخلاص بالعمل:

والمقام الأول من مقامات الإخلاص هو إخلاص الوجهة حيث يخلص العبد فيه لله تعالى ويولي وجه عمله إلى الله فإذا عمل خيرا قصد به وجه الله تعالى، وإذا عمل سوءًا استغفر منه وشعر بمراقبة الله تعالى، فأما إن زاغ قصده عن الله في بعض الأشياء سواء أكانت صغرى كحب الظهور والرياء ونحوها أم كانت عظيمة كقَصْد التنزلات والمشاهدات والخطابات، أم قَصْد المقامات في حد ذاتها، فذلك كله يسمى عدم الإخلاص لله تعالى.

الآن قد عَرَّفْنا الإخلاص في مستواه الأول والذي يجمع بين عامة المؤمنين والعارفين بالله تعالى، وننتقل إلى طرق تحقيق هذا الإخلاص للمريد السائر إلى الله سواء كان في بدايته أو في نهايته لأن في بدايته يحول بينه وبين الإخلاص لله تعالى حب المنزلة عند الخلق، أما في توسط سيره ونهايته يَحُول بين إخلاصه والله تعالى تجليات الله تعالى وبعض الأمور الباطنية كالأسرار والكرامات.

طرق تحقيق الإخلاص:

الطريقة الأولى بتحديد الهدف من الحياة ومن السير إلى الله، ومن سائر الأعمال والعبادات وهي النية: فإذا كان العبد غافلا عن هذه النية فإنه لا شك سيُغْفِل الإخلاص عن الله في ذلك العمل، فبداية العمل يحدد العبد نيته ويجعلها الله عز وجل، وإذا كان يحول بينه وبين ذلك حائل، فله خياران:

أ/ إما أن يتجاوز ذلك المانع الذي يمنعه عن تحديد النية والإخلاص لله تعالى بالتوجه إلى الله والاستعانة به، وبالنظر إلى الخلق نظر فناء يجعله يُخْرِجُ الالتفات إليهم من قلبه فيَعْلَمُ أنهم لا ينفعونه ولا يضرونه شيئا ولو عمل لهم ما عمل سواء فاز برضاهم أو حظي بسُخْطِهم فذلك لا يزيد فيه شيئا ولا ينقص منه شيئا، فَيُرْجِعُ النفع والضر كله لله تعالى فيخرج عائق الرياء من قلبه ويخلص لله،

ب/ أما إن لم يستطع هذا فينتقل إلى الحالة الثانية وهي أن لا يقوم بذلك العمل نهائيا إن كان تطوعا أو مستحبا، وإن كان فرضا إما يؤجِلُه حتى تتبخر ظلمانية الرياء من نفسه، أو يُغَيِّر وضعيتَه كأن ينتقل من مكان لآخر، أو يبدل الساعة بساعة أخرى، فإن غَيَّرَ وضعيته وغاب عن أعين الخلق فليفعل هناك ما نوى أن يفعله. وفي هذه الحالة يستطيع أن يعلم درجة إخلاصه لله عز وجل، فإن فَعَلَه في حضور الخلق أو حضور التجليات كما يَفْعَلُه في غير ذلك فإنه يكون قد تحقق بالإخلاص في مقامه الأول، أما إن وجد في نفسه ثقلا على ذلك العمل في غياب الخلق، أو غياب لذة الاتصال فذلك يَدُلُّ على أنه غير مُخْلِص لله تعالى فليراجع إخلاصه.

أما الطريقة الثانية لتحقيق الإخلاص هو الانشغال بنظر الله تعالى عما سواه وذلك بتطوير الحضور مع الله في كل حياته شيئا فشيئا حتى يَحْضُرَ معه

دائما، وكلما زاد حضور الله قَلَّ التفات المريد إلى ما سواه، وكلما قَلَّ حضور الله حضر شيء غيره في قلبه وهو في طريقه يعاني من حاجبين يمنعانه من الإخلاص:

أ/ ففي بداية الطريق يعاني من حاجب الخلق.

ب/ وفي نهايتها يعاني من حاجب الاتصال.

فإن غاب حضور الله في قلبه حضر أحد منهما في قلبه ولينظر المريد أَكْثَرَ تفكيره في اليوم في من يكون، وسيجد أغلبهم أن تفكيرهم إما في الخلق أو في المشاهدات وأنهم في غفلة عن الله تعالى، إلا القِلَّة القليلة الذين صفت قلوبهم فتَنَزَّل فيها نور الإخلاص، فإذا وجد المريد أكثر تفكيره في غير الله تعالى فليراجع حالته مع شيخه وليعلم أنه قد توجه إلى الانحراف فهو حينها على حرف قد تُخْرِجُه من الطريق ابتلاءات كثيرة إن دام على هذا الحال، وليعلم كذلك أن الغرض من ابتلاء الله له بالخلق هو اختبار له لِيَرَى صدق إخلاصه لا ليتعلق بهم ويغفل عن الله، فإن فعل ذلك فقد خسر إخلاصه والخلق أهون من أن يَحُولُوا بين إخلاص العبد لربه، فلينظر المريد في هذا الكلام وليعتبر به، فما الخلق له إلا ابتلاء ومانع وحجاب وليس من يراه مانعا له من السير في طريق الله هو الابتلاء، بل إن جميع الخلق هم ابتلاء حتى من تربطك بهم علاقة محبة لأنها تؤدي إلى التشويش في علاقتك مع الله تعالى. أما محبة الخلق فسنتحدث عنها في أوانها بإذن الله تعالى.

فليحذر المريد من هذا حذرا شديدا، وليعلم كذلك ـ إن كان في منتصف الطريق كي لا يقف ويرجع من حيث بدأ أو يطرد من بداية الطريق التي رجع إليها ـ أن المشاهدات والكشف أخطر له من الخلق إن تسلى به، كما أنها أكبر حاجب بين العبد وربه ليس في هذا المقام فقط بل في مقامات عالية من الإخلاص حيث لا يبقى في قلب المريد شيء غير الله، لكن تحجبه عنه تجلياته فلا يرى الله بل يبقى

محجوبا بتجلياته ـ التي هي عين الكشف ـ عن الله، لهذا فعلى المريد أن يضع أمر الكشف في يد شيخه ليسلم من مزالقه وهي كثيرة لأن الإنسان جُبِل على محبة ما يراه ويلمسه فيُخْلِص في طلبه والله عز وجل تنزه عن ذلك، لهذا فعلى المريد أن ينزع هذا الحجاب من قلبه ويُخْلِص لله في عمله وذكره وفي تعاملاته مع الخلق، وفي مشاهداته أن يخلص كذلك. هذا إن أراد النجاة، والحمد لله رب العالمين.

2/ مقام الإخلاص بالحال:

أما المقام الثاني من مقامات الإخلاص لله عز وجل هو إخلاص المريد بحاله، وليس بعمله فقط كما كان في المستوى السابق، لأن حال المريد يجب أن يكون كله دال على الله ومشير إليه فتراه في حاله وفي تصرفاته وفي خطراته وفي سكناته لا يراعي غير نظر الله عز وجل إليه، في صحوه ونومه وخلوته واجتماعه مع الخلق فترى حاله مخلصا لله كلية، و ترى جوارحه طائعة في ظاهرها وباطنها في خلوته ومخالطته للخلق، وقلبه مستقر على محبة الله وقصده، وعقله غائب في حضور الله، أما نفسه فخاضعة لأمر الله. وهنا ينتقل الإخلاص من العبادة إلى الحال.

وهكذا يجب أن يكون حال المريد في علاقته بالله نفسه وعقله وقلبه وجسمه وكل كيانه مُخْلِصٌ لله في جميع أحواله التي يمر بها، لا يزحزح إخلاصه التفات الناس إليه أو تنزلات الحق عليه فذلك قد صار إخلاصُه حالا، وحاله مرآة لنظر الله، وقلبه محل لتنزلاته، فإذا بلغ لهذه المرحلة لا يُهِمُّه بعد ذلك شيئا في الأكوان ولا يقصد شيئا غير الله في خطراته ولا حركاته ولا سكناته فهنا يقوى عمود الإخلاص لله عز وجل ويزداد نورا فلا يستطيع أن يُخَالِطَه شيء، أو يَحُول بينه وبين الإخلاص لله حائل، فإذا اقترب من نور الإخلاص الذي بينه وبين ربه احترق ولا يستطيع فَصْلَه عنه.

ويزداد هذا العمود نورا على نور كلما ازداد إخلاص المريد لله عز وجل وارتقى وراعى نظر الله تعالى وحضوره في ظاهره وفي باطنه، فلا يُخْفِي ولا يُخَالِف ظاهره باطنه، ولا باطنه ظاهره لأن الله حاضر فيهما فتجده كما يتصرف في الظاهر يتصرف في الباطن وكما يتصرف في العلن يتصرف في الخفاء، فهذا إخلاص كامل ولكن في مقامه البِدَائِي لأنه إن ارتبط بالله إخلاصه فهو غير كامل بعد، والحمد لله رب العالمين.

3/ مقام الفناء عن الإخلاص:

وننتقل بإذن الله إلى المقام الثالث من مقامات الإخلاص، وهو الفناء عن الإخلاص وعدم ادعاء المريد أنه وصل إلى الإخلاص بعد، لأن الإخلاص مقام عالي لا يصله المريد حتى يفنى في الله عز وجل فناء كاملا فلا يَرَى إلا به ولا يَسْمَع إلا من خلاله ولا يَحْيَا إلا بحياته، لأنه إن ادعى المريد الإخلاص في هذا المقام ولو مع نفسه أو خطر على قلبه ـ بحكم تجاوزه لعقبة الخلق بعدم الالتفات إليهم ـ أنه صار مخلصاً لله عز وجل و وَقَرَ في قلبه واستقر، فإن ذلك ظلام يَحْجِبُه عن الله عز وجل فلا يصل إليه ولا يبلغ مراده.

وليعلم المريد أنه مهما بلغ من الإخلاص فانه لم يبلغ إلى الإخلاص بعد، ولا إخلاص يَكْمُلُ إلا بعد كمال المريد بصفات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واتصافه الكامل بها. وفي المقام الذي بعده أنه إذا ظن المريد أنه مخلص لله فإن ذلك الإخلاص يصير حائلا بينه وبين الله عز وجل لأنه يرتبط بإخلاصه مع نفسه، أو بعبارة أصح وأوضح يكون أخلص لله عز وجل بإخلاص نفسه، فرجع إخلاصه لله عز وجل من نفسه إلى نفسه فوقر فيها، فلا يُخْلِصُ حينها إلا لنفسه، لأن الله أغنى الشركاء عن الشريك فإذا بلغه إخلاص عبده وظلام الإخلاص مُخَالِطٌ له فإن الله يَرُدُّه ولا يقبله، فيرجع إلى نفس المريد وظلام الإخلاص والاعتقاد بالإخلاص في

نفسه، أي أنه صار مُخْلِصا لله تعالى وهو ليس مُخْلِصًا بعد. وليفنى المريد عن إخلاصه وليتجاوز هذه المرحلة عليه بثلاث طرق:

طرق فناء المريد عن إخلاصه:

1. **أولا أن يَفْنى في صفات سيدنا محمد ويُلْغِي من عقله وفكره أنه صار مخلصاً** فلا يخلص العبد حتى لا يحول بينه وبين الله حائل، وهذا لازالت نفسه وإخلاصه وأوهام فكره تحول بينه وبين الله فكيف يدعي أنه مخلص؟ فإن فنا عن إخلاصه في إخلاص سيدنا محمد سطع نور الإخلاص من مرآة سيدنا محمد في قلبه فأخلص حقيقة الإخلاص واتصل نور قلبه بنور الله تعالى عن طريق صفة الإخلاص في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
2. **ثانيا بتذكير نفسه بعبودية الله عز وجل** أنه عبد له ولا شيء له فالكل لله، فإن وهبه الله إخلاصا صار مخلصا، و إن وهبه ضلالا صار ضالا، وإن وهبه رزقا يصير له رزق، وإن لم يهبه فما له من الله من شيء، فالكل من الله ويرجع إليه، فإذا رسخ هذا في قلب المريد وتذكر فضل الله عليه بأن وهب له شيخا، ودَلَّه على طريق سوي مستقيم، وأرشده إليه، وغفر له عند الزلات، وثبته عند المزالق، وأوصله بحفظه وعنايته الى ذاك المقام من الإخلاص، فإنه يزول من قلبه الاعتقاد بأن له شيئا مع الله عز وجل، فلاشيء له والكل منه سبحانه.
3. **وثالثا بأن يعرف دسيسة نفسه وأنه لم يسلم بعد من براثن النفس ووساوس الشيطان** فهو لازال مُعَرَّضًا لها، وان سَلِمَ منها فإنه لا يسلم من مكر الله عز وجل لهذا وجب عليه أن يحتمي بحماه ويلوذ به ويطلب منه النجاة لا أن يدعي شيئا معه سبحانه،أو يرى وجوده له في حضرته لأنه إن التفت قلبه إلى الإخلاص التفت إلى المقام فصار ينظر إلى مقامه في حضرة الله فيحجبه مقامه عن حضرة الله، ويخرج منها بالتفاته إلى مقامه لأنه قد أساء الأدب مع الله عز وجل بأن

التفت الى غيره في حضرته. وإذا ارتبط قلبه بذلك وبدأ ينظر إلى مقامه صار قصده أن يترقى في المقامات فيرى من فوقه مقامات لم يدركها بعد، ومقامات من تحته قد جاوزها وبعض المريدين لازالوا فيها، فإذا حصل للمريد هذا الحال فانه يهلك لا محالة لأنه إن التفت للذين هم أقل منه في المقام حصل له بعض من الكبر، وإن التفت إلى المقامات التي فوقه أراد أن يدركها ويترقى فيها فيحجب عن الله عز وجل بالمقامات ويكذب إخلاصه، لأن الإخلاص كما ذكرنا هو القصد والنية، فَيُحَوَّل من هذا المقام قصد المريد من الله عز وجل إلى قصد الارتقاء في المقامات، وهذا خطأ جسيم يؤدي إلى الحجاب والهلاك إلا أن يعامله الله برحمته فَيَحْجِب عنه مقامه فلا يراه، فيحصل في قلبه خوف ورهبة من الله عز وجل فيثبت الإخلاص في قلبه فينجو بفضل الله ورحمته من هذا العائق ويترقى في المقامات التي تليها مقاما بعد مقام.

4. **رابعا أن لا يرى المريد وجودا له ولا لإخلاصه مع الله عز وجل لأنه إن رأى ذلك حجب عن الله وكَذُب إخلاصه** من قَصْد الله عز وجل إلى قَصْد وجوده في حضرة الله، وهذا ينافي الأدب فما إن التفت المريد إلى نفسه في حضرة الله هُلِك إلا أن يلتفت إلى شيخه فيُحْجَب ولا يُهْلَك، وفي تلك مقامات يعسر ذكرها، وهناك مقامات أخرى سيأتي ذكرها فيما بعد، والحمد لله رب العالمين.

4/ مقام التخليص:

المقام الرابع من مقام الإخلاص وهو مقام التخليص حيث يصير المريد مُخَلَّصا من الله عز وجل يُخْلِص لله فيقابله الله بالتخليص فيُخَلِّصَه، ولا يَبْلُغ الولي هذه الدرجة حتى يَصْدُق في إخلاصه لله عز وجل ويَتَرَقَّى في المقامات السابقة مقامًا مقامًا، ويُخْتَبَر فيها صدق إخلاصه فإن ثبت ورسخ يخلصه الله عز وجل فيصير مخْلَصا ويدخل في قائمة الصديقين الذين خصتهم عناية الله وحُبُوا بفضله، ويكون في أمن من الله فيحفظ من الوقوع في المعاصي والذنوب ، ويتحصل هذا المقام بتحصيل المقام السابق، لأن من فني عن إخلاصه انتسب إخلاصه إلى الله فخلَّصه الله فصار مُخْلَصا من عند الله ، وذلك مقام الصديقين من العارفين حيث لا يبقى شيء لهم ويصبح الكل من الله عز وجل ـ حتى الإخلاص منه ـ فيُنْسَبُون إلى الله ولا يُنْسَبُون إلى أنفسهم كما نُسِبُوا من قبل وذاك فيه نجاة لهم، فما من أحد انتسب إلى نفسه إلا هلك، ولا انتسب إلى ربه إلا نجا بفضله وكرمه، وهذا مقام يخُص الله به عبده، وليس للعبد فيه شيئا، بل ما على العبد هو تحصيل الإخلاص؛ فإما يُرَقِّيه الله في المقام فيصير مُخْلَصا وإما أن يبقى مُخْلِصًا حتى يلاقي الله بإخلاصه، ذاك بأن الله يختص برحمته من يريد من عباده، والحمد لله رب العالمين.

5/ مقام الإخلاص الكامل:

المقام الخامس من مقامات الإخلاص وهو مقام الإخلاص الكامل لأنه المقام الذي يَكْمُل فيه الإخلاص باجتماع إخلاص العبد وتخليص الله عز وجل له، ولا يكمل الإخلاص قبل هذا حتى يصل إلى هذا المرحلة، فيصير العبد مُخْلِصًا مُخَلَّصًا من الله عز وجل فيُحْفَظ في قلبه نور الإخلاص، ويَكْمُل في نفسه مقام التخليص،

ويصير إخلاصه في هذه المرحلة ليس كما كان من قبل وإنما يصير إخلاصا باليقين لأن المريد لا يصل إلى هذه المرحلة حتى لا يرى وُجُودًا حَقًّا لأحد غير الله سبحانه مما يَجْعَلُ إخلاصه يتوجه كلية لله عز وجل ولا يحول بينه وبين إخلاصه حائل.

أما مقام التخليص أن يَتَنَزَّل الله بحفظه ورعايته على مقام الإخلاص في قلب المريد فَيَحْفَظُهُ من كل التفات لغير الله تعالى ويُرَسِّخ في قلبه مقام الإخلاص، فإذا وصل العبد إلى هذه الدرجة صار محفوظا من الله تعالى بأن يلتفت إلى غيره أو أن يَقْصِدَ غَيْرَهُ في معراجه إليه؛ ولو رأى من العوالم ما رأى: من جنة أو نار أو نعيم أو عذاب... فإن قلبه بِحِفْظِ الله وتخليصه له لا يلتفت إلى ذلك كله، وحتى إن التفت له فلا يرى فيه غير الله عز وجل، وهذا هو الفرق بين مقام الإخلاص ومقام التخليص لأن العبد إذا تَوَجَّه في معارجه البَاطِنَة إلى جنة أو نار أو شيء غير الله عز وجل وكان لازال في مقام الإخلاص فإنه يرى الجنة ويرى النار وإن لم يرجع قلبُه للتوجه إلى الله فإنه قد يُضَيِّع إخلاصه.

أما المُخْلَصُ فإنه مهما توجه إلى الأشياء والمخلوقات فلا يرى فيها إلا صنع الله فتربطه بالله، وإذا ارتقى في المقام أكثر فإنه إن توجه إليها لا يراها كلية، بل لا يرى غير الله عز وجل ولا يقصد غيره، لكن التخليص قد يكون سابق في علم الله، وقد يكون العبد مُخَلَّصا قبل أن يصير مُخْلِصًا وهذا نقص في مقام الإخلاص، وقد يكون مُخْلِصًا وليس مُخَلَّصا بعد، وهذا نقص كذلك، بل لا يعتبران أنهما وصلا لدرجة الإخلاص حتى يجمعان بين الإخلاص والتخليص، وهذا هو كمال مقام الإخلاص.

و لكن لم يَكْمُل بعد فهذا كَمَالُه الأَوَّلِي في هذه المرحلة، ولكن لازال في الإخلاص مقامات أخرى يعلمها الله عز وجل ويُطْلِعُ عليها من شاء من عباده، وهو

الذي يحْفَظُ بتخليصه العَبْدَ من شر إخلاصه ويُكَمِّل إخلاصه بفضله ورحمته، ويُرَقِّيه في المقامات عنده، فهو وَلِيُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

6/ مقام السلامة من الأهواء:

أما المقام السادس من مقامات الإخلاص هو سلامة المريد كليا من الأهواء؛ فبتخليص الله له صار سليما وإن ترقى في المقام صار مسلَّما من أهواء نفسه أن يزيغ عن طريق الحق، وهذا هو المقصود الأعظم لمقام الإخلاص؛ وهو أن يخلص العبد في ظاهره و أن يُخْلِص في باطنه و أن يُخْلِص فيهما معًا، ثم يُخلص في مشاهدته، ثم يفنى عن إخلاصه، ثم يخلص بتخليص الله عز وجل فيصير مُخَلَّصا لِيَصِير سَالِمًا فَمُسَلَّمٌ من أهواء نفسه وذلك هو البغية والمقصود من سلوك طريق الإخلاص.

- **المعصية في حق المريد العارف كمال، وفي حق المريد المبتدئ ظلام:**

في هذا المقام لا يُعْصَمُ العبد بعصمة الأنبياء ولكن يحفظ بحفظ الله عز وجل ليس من المعصية، لأن المعصية كمال بشري، ولكن يَسْلَمُ من هواه ومن رغبته ومن قصده، لأنه يكون قد أخلص وأفنى كل هذا بإخلاصه في الله عز وجل فيصير قائما بأمر الله ـ ليس بأمر نفسه وذلك هو بلوغ المقصود ـ وإن ارتكب المعصية فإنها لا تُبْعِدُه عن طريق الحق ولا تَحْجُبُهُ عن ربه لأنها من صفته البشرية، ومن كمال النقص البشري. في حين تَحْجُبُ المعصية المريد عن ربه حين ترتبط معصيته بظلام نفسه، أما إذا كانت المعصية من حالته البشرية خالية من ظلام نفسه وأهواءها فإنها لا تحجبه عن الله عز وجل بل تغتفر برحمة الله لأنها من اللَّمَم، ومن كمال النقص البشري.

فالكمال صفة من صفات الله عز وجل التي تتجلى في الإنسان أو في المخلوق بالنقص، و لِتَكْمُلَ صفةُ الكَمَال في المريد ـ ليصير كاملا ـ عليها أن تَكْمُلَ بالنقص الذي فيه ومنها السهو والنسيان، وكذلك ارتكاب بعض المعاصي ولا يَسْلَم من ذلك أَحَدٌ من الخلق لأنَّه تجلي لِصِفَات الله فيه، فإن كان باطنه مُسْتنيرا، وهوى نفسه ممحوقا تجلت صفت الكمال بنورها على المريد فأَنْبَعَت ذلك النقص وهو المعصية التي لا تَحْجُبُ عن طريق الله ولا تَمْنَعُ عنها.

أما إذا تجلت صِفَةُ الكمال على سائر العباد الذين تَلَوَّنَت أنْفُسُهم بظلام صفاتها، فإن المعصية هنا لا تكون من كمال الله، ولكن تكون من ظلام أنفسهم لأن نور تجلي الصفة لا يصل إليهم بل يُحْجَبُ عنهم بحجاب الظلام الذي على أنفسهم فلا تتجلى فيهم صفة الكمال، كما لا تتجلى فيهم باقي الصفات الإلهية.

أما إذا وصل تَجَلِّيهَا إلى باطن العبد فوجده مظلما عاد التجلي من حيث جاء و كان ارتكاب المعاصي من نفس العبد وظلامِهَا، فهذا حجاب النفس يَحْجِبُ تَجَلّي الصِّفَة فيه فَيَحْجِبُهُ عَنْ رَبِّه، وهذا شَرُّ المَعْصِيَة يَزِيدُ العبد حجابا على حجابه، وهنا الفرق الكبير بين خطأ العارف وخطأ سائر العباد وهذا راجع إلى صِدْق إخلاصه لله عز وجل، والحمد لله رب العالمين.

7/ مقام الوصول:

أما المقام السابع والأخير من مقامات الإخلاص هو مقام الوصول لأن العبد في هذه المرحلة يكون قد وصل إلى ربه وفي ذلك درجات كما ذكرنا من قبل، حيث يبدأ بالإخلاص ثم يفنى عنه بالتخليص إلى آخر المقامات حتى يصل إلى الله عز وجل ليس بإخلاصه وإنما بخُصُوصِيَةٍ خَصَّه بها الله تعالى لأنه إذا اكتمل المريد في

إخلاصه وسَلِم من أهواء نفسه فما بعد ذلك إلى الوصول لله عز وجل فيغرق في صفاته ويرى تجلياته ولا يكون للعبد وجود في حضرة الله.

وقد يسمى هذا المستوى بمقام الفناء أيضا ولكنه ليس فناء عن الإخلاص كما كان من قبل وإنما هو فناء بالتخليص في الله عز وجل، وهذا المقصود من سير العبد فيصبح مرآة لصفات الله تعالى يتجلى فيه الله كما أراد بحروف نُطْقِهِ أو بسَكَنَات قلبه، أو بخَطَرَات عقله سالما من أهواء نفسه، مُسَلَّما بحقيقة النظر إلى ربه، فما قام به هو من عند الله عز وجل فَيَبْلُغُ القَصْدَ من الإخلاص وهو الفناء في المُخَلِّص.

وهذا هو مسلك الإخلاص كاملا مقاما بعد مقام إلى الوصول إلى تجليات التخليص من الله عز وجل في عبده، وأنوار حضرته التي تَتَنَزَّل على مرآة قلبه في سكون حِسِّه وفي حركة ذاته، فلا يرى إلا بالله ولا يرى بالله إلا الله، ولا يرى الوجود إلا بنظر الله، ولكن نظر الله المتجلي والمتمثل في الكون وهو النَّظر المُمَثَّل وليس بنظر الله المنسوب لذاته لأن نظر ذات الله هو النظر المُحَقَّق الذي لا يصله أحد من العباد وفي ذلك لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصية يعلمها الله، لهذا فلو بلغ العبد لهذا المقام فإنه لا يدرك مقام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عند الله مطلقا، لأنه هو العبد الذي اختصه بما اختصه به فلا نصل إلى حقيقته مهما وصلنا ولكن نرى بعض مظاهر تجلياته المتجهة من قلبه الأحمدي إلى الأكوان، أما قلبُه الحَبيبي فإنه متصل بحضرة الله ذاتا أو روحا ـ ولا يعلم ذلك غير الله ورسوله ـ وإنما إذا وصل العبد إلى قلب سيدنا محمد الأحمدي فإنه يُحْجَب عن قلبه الحَبِيبِي، وذلك الحجاب هو عين الاتصال بالله عز وجل فلا يجاوزه العبد إلا إذا شاء الله عز وجل وإذا تفضل بذلك في دار البقاء بالنظر بمرآة

قلب سيدنا محمد الحبيبي إلى ذاته المُعَظَّمة، وفي ذلك اختلف الأولياء بحسب مقاماتهم وهذا في علم الله عز وجل ولا يَعْلَمُه غيره.

ولكن ما يعلمه كبار الأولياء واجتمعوا عليه أنه لا يُنْظَر إلى ذات الله تعالى إلا بمرآة قلب سيدنا محمد الحَبِيبِي، ولا يُنْظَر بمرآة قلبه الأحمدي إلا إلى تجليات الله الحَبِيبِيَة الواقعة في ذلك القلب والمتجهة إلى الخلائق والأكوان.

إن عُقْدَة الاتصال بين الكون والمكون هو قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ينقسم في توجهه إلى قلبين:

أ/ قلب أحْمَدِيٌّ: تَوَجَّهَ للخلائق يُمِدُّهُم بتجليات الله.

ب/ قلب حَبِيبِيٌّ: تَوَجَّهَ إلى ذات الله ليس بقدرته ولا بشيء منه ولكن بمحبة الله عز وجل.

فإذا أحب الله عبدا رفعه كما يريد بلا درجات، ولهذا سُمِّي قلبُه الناظر إلى ذات الله كما شاء بالقلب الحبيبي لأنه اخْتُصَّ بمحبة الله عز وجل. ولا يَرَى الخلائق كُلُّهُم إلا وجه سيدنا محمد الأحمدي حتى يلحقوا بفضله.

والله أعلم، هل يَخْتَصُّ أحدا بالنظر إلى قلب سيدنا محمد الحبيبي لأنه تَجَلٍّ للذات العظمى؟.

أما النظر إلى ذات الله مباشرة فذلك محجوب عن الخلق بعلم الله وبحكمته كما شاء وكما أراد.

ولِعُلُوِّ هذا المقام أراد الله أن يَتَكَرَّم على عباده بالوصول إليه لهذا أرْسَلَ من قلب سيدنا محمد الأحمدي صورته المحمدية إلى الأكوان ليربطهم بذاته المحمدية ثم بقلبه الأحمدي، وهذا فضل كبير من الله عز وجل. والحمد لله رب العالمين.

III. مقامات المحبة:

لقد ختمنا ولله الحمد الحديث عن مقامين رئيسين من مقامات القرب من الله تعالى، وننتقل بإذن الله إلى المقام الثالث وهو مقام المحبة، وسنتحدث عن مقامات المحبة في سير المريد وليس عن المحبة بشكل عام لأن المحبة هي عين فاض منها الوجود وخُلِقَت منها كل الكائنات، وأَوَّلُ من خُلِق من هذه المحبة هي صفات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم تبعتها روحه ثم حقيقته ثم ذاته. ومن ذاته الشريفة التي وَقَر فيها أنوار تجلي صفات الله عز وجل تَجَلَّت عليها صفة الخالق فخُلِقَت منها الأكوان، لكن ليس ذاته بمفردها، بل ذاتُه الممتزجة بصفاته وروحه وحقيقته، فبهذا كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو منبع الأكوان ومرآة تجليات الله على خلقه.

1/ مقام محبة وارث النور النبوي/ الشيخ المربي:

وهذه المحبة المنبثقة من أنوار الله الفائضة على سيدنا محمد هي موروثة من قلب سيدنا محمد قلبا عن قلب، ولا يصل المريد إلى حقيقة المحبة في ارتباطها بالصفات الإلهية حتى يَمُرّ من هذا النور المتوارث في القلوب، لهذا كان المقام الأول من المحبة هو محبة وارث نور المحبة وهو الشيخ المربي الذي يوصل العبد إلى مولاه، وكما كانت المحبة سبب الخلق فهي سبب الوصول كذلك إلى الخالق، فلا يمكن للمريد أن يصل دون محبة بل إن كل الشرائع والديانات والفرائض والعبادات التي أمر الله بها تَفِيضُ من نبع المحبة في قلب سيدنا محمد وما جعلت هذه الشرائع إلا لِتُوصِل إلى منبع المحبة.

والأصل في هذه الشرائع هي المحبة كذلك لكن المريد في بداية سيره لا يجد في قيامه بالعبادات لذة ولا محبة ولا استشعارا للصلة بالله وهو هنا أحوج ما يكون إلى نور المحبة الموجود في قلب الشيخ، ولا يمكنه أن يرتبط مباشرة بأنوار محبة الله لأن المريد لا يذوق المحبة حتى يعرف المحبة، ومحبة الشيخ تعريف بالمحبة، ومحبة الله ذوق ، فإذا صحِب المريد الشيخ في هذه المرحلة جعل نور المحبة يفيض من قلب الشيخ إليه، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يفيض نور المحبة من الشيخ على المريد؟ وهل لذلك علاقة بالتربية التي يتلقاها المريد من الشيخ؟

وينقسم ذلك إلى قسمين:

أ/ ـ فيض المحبة الظاهري: وهو أول ما يبدأ الشيخ مع المريد ليوصله إلى فيض المحبة الباطني، فيُفَيِّض عليه المحبة بحثه على تلك العبادات التي كان يقوم بها من قبل ـ دون نور للمحبة ـ ليقوم بها بعد ذلك بالمحبة، وذلك ما يتمثل في إذن الشيخ في أعمال وعبادات المريد، وهذا الإذن هو مَظْهَر للقبول وتَجَلٍّ للمحبة ووصل بالاتصال. أما إن لم يكن له إذن من شيخه فإن المحبة لا تدخل قلبه ولو فعل من العبادات والطاعات و أنواع القربات ما فعل، بل يظل عملا ظاهريا لا يُنْفَث في باطنه معنى من معاني الباطنية والعكس إذا كان له إذنا من الشيخ، لذلك فأول ما يبدأ به الشيخ مع المريد هو تلقينه ذكرا محمديا مأذونا مصحوبا بأنوار المحبة والقبول ثم يدله على طاعات أخرى مصحوبة بذلك الإذن أيضا فيجعل باطنه يترقى في هذا المعنى من معاني المحبة ليوصله إلى القسم الثاني من المحبة، وهو المحبة الباطنة.

ب/ـ وهو فيض المحبة الباطنة: وهو بداية شعور المريد بالمحبة فيشعر بنور في قلبه وانشراح في صدره في تلك الأعمال التي كان يقوم بها

من قبل دون ذلك فيستشعر معنى من معاني المحبة الذي يربطه بمنبعها وهو قلب الشيخ ليترقى المريد في الدرجة الثانية وهي محبة الشيخ لذاته والارتباط بنبع المحبة الموروث في قلبه.

وهكذا يفيض قلب الشيخ بأنوار المحبة على المريد **ظاهرا بإذنه المصحوب بنور المحبة في العبادات والأذكار**، وباطنا **باستشعار المريد صلة المحبة بينه وبين شيخه**، ولا يكون المريد قد دخل في سلك المريدين حتى يصل إلى هذه المرحلة، وبعد ذلك يترقى في محبته للشيخ.

الحجب المانعة من محبة الشيخ:

أولا/حجاب الخلق:

وأَوَّلُ ما يُزِيلُ من قلبه من الحجب المانعة عن محبة الشيخ هو حجاب الخلق، ويجب عليه هنا أن يهجر الخلق قلبه وأن لا يلتفت إلى كلامهم ولا إلى اعتراضهم ولا إليهم كلية، فلا يصير يعرف إلا شيخه ويموت كل الخلق في نظره، ويصلي صلاة الجنازة على العالمين، ثم يتوجه إلى فيض قلب شيخه بالمحبة على قلبه فيجد أن الحجاب الأول قد زال بينه وبين شيخه فتزيد محبته له درجة.

ثانيا حجاب النفس:

ليجد نفسه أمام الحجاب الثاني، وهو حجاب النفس واعتراضها على الشيخ وآرائها المُفْعَمَة بالظلمانية التي تعكر صفو محبة المريد لشيخه، فيصير نور المحبة في قلبه مختلط بظلمانية نفسه، حيث كلما أراد أن يذوق محبة شيخه وقفت النفس أمامه حاجبا عن ذلك، فيشعر بالمرارة بدل المحبة، ويصير على الشيخ أن يرقي المريد في هذا الحجاب فَيُطَهِّر نفسه صِفَةً صِفَة حتى يَهْدَأَ خِطَابُها وتُبَدَّلَ صِفَاتُها ويُنَوَّرَ ظلامُها، فتستكين إلى

ذلك ويجتاز المريد هذا الحجاب، وفي هذا الحجاب حجب أخرى وهي درجات:

أولها **حجاب سوء الظن** الذي يَنْبع من نفس المريد وهو أخطر من الذي يَنْبُعُ من عقله لأن الذي يَنبع من عقله يصوب بحجج عقلية وفكرية، أما الذي ينبع من ظلام النفس فإنه لا يُتَجَاوَز حتى يُحْرَقَ بنور المحبة، وذلك الظلام يُحَوِّلُ كمال الشيخ وجماله وحُسْنَ خلقه في نظر المريد إلى ظلام فيجعله ينظر الى الشيخ بعكس ما فيه نظرا لظلمانية نفسه.

والحجاب الثاني من حجب النفس عن محبة الشيخ هو **حجاب الصفات** مما يجعل النفس مالكة لصفات ظلمانية، وصفات الشيخ هي صفات نورانية فيَمْنَعُ هذا سريان نُورِ المحبة الذي يعترضه ظلام صفات النفس، **والعلاج هنا:** هو تزكية النفس وتخليتها من الصفات الذميمة وتَحْلِيَتِها بالصفات الحميدة التي يتصف بها الشيخ، فتتوجه صفات المريد إلى صفات الشيخ فيسري منها نور المحبة، وفي النفس حجب أخرى كحجاب **الأنا** وحجاب **الذات**، وحجاب **الرسم** وهو ما يَفْصِلُ بينه وبين شيخه من شكل، وحجاب **الاسم** وغيرها.

ثالثا: حجاب التعلق:

أما الحجاب الثالث الذي يَحْجُب سريان المحبة من الشيخ إلى المريد وهو حجاب التعلق حيث تجد المريد مازال متعلقا بغير شيخه ملتفتًا إليه، وذلك يُغْفِلُ قلبه من التوجه لمرآة قلب شيخه ليستمد نور المحبة منه، فصار على المريد خلال هذه المرحلة قطع جميع تعلقاته بالمال والدنيا والمنصب والجاه، بل وكل التعلقات حتى لا تتوجه مرآة قلبه لغير قلب شيخه فَتَسْتَمِدّ المحبَّةَ منها.

رابعا: حجاب الحس:

والحجاب الرابع هو حجاب الحس الذي يجعل المريد غيرُ ناظرٍ إلى حقيقة شيخه بل محجوبا بحس شيخه عن باطنه، فلا ينظر إلى الحقيقة القلبية المُسْتَمَدَّة من نور رسول الله لشيخه، فيقف ذلك حجابا يمنعه من الترقي في مقامات محبته لشيخه.

خامسا: حجاب الباطن:

والحجاب الخامس هو حجاب الباطن لأن المريد إذا تجاوز الحجاب الرابع بوصول نَظَرِهِ إلى باطن شيخه، وتَحَرُّرِ روحه من جسده، فإن المحبة الحقيقية يقف أمامها بَاطِنُ الشيخ فَيَرَى المريد منه تجلياته ويرى اتصاله بالحضرة وتنزلاته عليه فيرى منه أسرارا وكرامات فيصرفه هذا عن محبة شيخه لذاته، وتتوجَّه مرآة قلبه إلى الأسرار والكرامات المخزونة في قلب شيخه، ويُحْجَبُ بهذا عن التَّرَقِي في درجات المحبة.

سادسا: حجاب المعرفة:

أما الحجاب السادس والأخير هو حجاب المعرفة لأن المريد مهما بلغ من اتصاله بشيخه، وعرفه وعلم منه ما علم، فإنه لا يَعْرِفُهُ حقيقة معرفته لأن مقام الشيخ أعلى من أن يُدْرَك وأكبر من أن يُعْرَف، وهذا يحجب المريد عن زيادته وارتقاءه في محبة شيخه لأنه مهما عرفه ظاهرا وباطنا فإنه يظل جاهلا به.

وهذا الحجاب لا يرفعه إلا الشيخ إن أراد إدخال المريد على الحضرة النبوية، وباجتياز المريد حجاب المعرفة وبدخوله الحضرة النبوية يعرف شيخه ويصل نور المحبة إلى قلبه، حيث إن المريد لا يعرف شيخه حقيقة المعرفة حتى يَدْخُل به إلى الحضرة المحمدية جسدًا وروحًا، يقظةً لا منامًا: فهناك تكتمل محبة المريد للشيخ ويَبْلُغُ نَبْعُ المَحَبَّة في قلب الشيخ أوصال

المريد فيُغَطِّيه ويصْبِغه بها كلية، وبهذا يكون قد دخل في خط نور المحبة في مقامه الأول وبعد ذلك مقامات أخرى سنتطرق لها بإذن الله تعالى، والحمد لله الذي عَلَّمَنا من علمه.

2/ مقام محبة ذات سيدنا محمد:

المقام الثاني من مقامات المحبة هو مقام محبة ذات سيدنا **صلى الله عليه وسلم** لأن المريد إذا صار مع شيخه ووصل إلى محبته و دخل إلى الحضرة الذاتية للرسول صلى الله عليه وسلم، صار عليه أن يترقى في محبة ذات رسول الله وذلك من خلال تحويل قلبه من محبة الشيخ إلى محبة سيدنا **صلى الله عليه وسلم** محمد، لأن القلب إذا امتلأ محبة بالشيخ وهو حجاب سيدنا محمد **صلى الله عليه وسلم**، فإذا رفع الحجاب دخلت المحبة التي كانت واقفة على باب الحجاب ـ وهو قلب الشيخ ـ إلى ذات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك ثلاثة علامات كبرى:

العلامة الأول: اتباع السنة الذاتية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالمحبة حيث يَتَّبِع المريد كل سنن النبي الذاتية، بل كأنه يحيا بذات النبي فيفعل كل ما كان يفعله النبي وينتهي عما كان ينتهي عنه، فتحيى ذاته بمحبة ذات النبي صلى الله عليه وسلم.

والعلامة الثانية: هي مشاهدة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقوم بما يقوم به المريد حيث كلما فعل المريد شيئا التفت لذات النبي واقتدى به وسَرَت محبة النبي من قلب المريد إلى سيدنا محمد وزادت بزيادة مشاهدة أفعاله صلى الله عليه وسلم.

والعلامة الثالث: من محبة النبي هي إسباغ ذات المحب بذات الحبيب فيصير المريد لا يتصرف بأمره ولكن تتصرف فيه ذات الحبيب، وكلما لاقى موقفا من مواقف الحياة تجلت فيه ذات النبي فيفعل ما كان يفعل النبي ويَرُد بما يرد النبي. فهذا هو مقام اكتمال المحبة في ذات رسول الله إذ أنها تكون في البداية محبة بالاقتداء، وبعدها محبة بالمشاهدة، وبعدها محبة بالفناء، وهذا هو المقام الأسمى والأكمل من مقامات محبة ذات النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل المريد من الباب الثانية ـ بعد محبة الشيخ المؤدية إلى حب الله تعالى ـ وهي ذات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والفناء فيها، وإذا وصل المريد لهذا المقام وجد ذات النبي تتصرف فيه ولا تَغِيب عن ناظره، ولا يحيا إلا بنبضات قلب النبي صلى الله عليه وسلم داخله؛ وهذه هي العلامات الثلاثة للمحبة الكاملة لذات النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن لا يصل العبد إلى تحمل أنوار الذات المحمدية وسطوعها في قلبه السطوع الحقيقي حتى يصل إلى هذه الدرجة من المحبة فلا يرى غير النبي في الكون، بل ولا يلتفت إلى غيره لأنه يكون قد ذاق حقيقة المحبة، ومن هنا ينتقل المريد من معرفة المحبة ـ المرتبطة بمحبة الشيخ ـ إلى ذوق المحبة ـ المرتبطة بذات الله تعالى ـ ولا يذوق العبد محبة الله تعالى حتى يذوق محبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يذوقها حتى يعرف محبة شيخه فهذا هو الخط المستقيم لنور المحبة، والحمد لله رب العالمين.

3/ مقام محبة روح سيدنا محمد وحقيقته الأحمدية:

أما المقام الثالث من مقامات المحبة فهو محبة روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقته الأحمدية التي لا يصل المريد إليها إلا عن طريق محبة ذاته المحمدية فإذا فني في ذات النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا في المقام السابق، سطعت عليه أنوار المحبة من روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتي هي فيض لصفات الله تعالى وأنواره، فإذا تجلت عليه الروح الأحمدية بتجلي الصفات الأحدية صار على المريد في هذه المرحلة ليترقى في درجات المحبة أن يتصف بتلك الصفات الأحدية المتجلية في المرآة المحمدية التي هي روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صفة صفة.

كيفية التحلي بصفة التواضع؟

فيتحلى ـ مثلا ـ بصفة التواضع التي أصل انعكاسها هي صفة الكِبْرِ في حق الله تعالى، ويتحلى المريد بهذه الصفة عبر مراحل يسلكها:

المرحلة الأولى: أن يرى نفسه أقل الناس ولكن هذا المقام ليس تواضعا كاملا ولكنه باب وطريق للتواضع الكامل، فإذا سار المريد على هذه الحال مدة من الزمن انتقل إلى المرحلة الثانية وهي الأكمل.

المرحلة الثانية: أن يفنى عن تواضعه في كمال الله فلا يرى إلا كماله سبحانه وتعالى، وبهذا يتحقق بصفة التواضع.

ثم تتجلى عليه باقي الصفات من الأصل الأحدي عبر المرآة المحمدية فيتصف بها عن طريق تعليمات شيخه في ذلك حتى يصل نور المحبة الفائض على صفات سيدنا محمد بتقمص العبد لصفات سيدنا محمد، وبذلك يسري نور المحبة ويترقى المريد في الدرجة الثالثة من المحبة فيتحلى بصفات روح سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم كما تحلى بصفات ذاته من قبل و سلوكاتها، وهو كذلك عن طريق ثلاث مراحل:

ـ مراحل تجلي الصفات الأحدية على المريد:

المرحلة الأولى: أن تتجلى عليه تلك الصفات في مرآة روح سيدنا محمد على ذات سيدنا محمد التي فنا فيها المريد فيشاهد بمشاهدتها لذلك التجلي، ويدوم المريد على هذه التجليات لمدة معينة.

والمرحلة الثانية أن تَسْقِي تلك الصفات المتجلية عليه ذاتَه وروحَه ونفسَه، فكلما سقته صفة من تلك الصفات زاد سريان المحبة من نبعه الجبروتي عن طريق روح سيدنا محمد إلى المريد، فكلما سُقِي من صفة من الصفات إلا وَ قَرَّ نورها في نفسه.

والمرحلة الثالثة هي أن يصبغ بهذه الصفات المتجلية في روح سيدنا محمد فتحيى هذه الصفات في روح المريد.

وبهذا يكتمل المقام الثالث من مقامات المحبة باقتباس صفات الذات المحمدية، ثم اقتباس صفات الروح المحمدية التي هي انعكاس من صفات الله تعالى فتَكْتَمِل المحبة المحمدية في المريد، والحمد لله رب العالمين.

4/ مقام إخلاص المحبة:

في هذا المقام تترقى محبة المريد من ارتباطها بغير المحبوب لذاته، بل قد ترتبط بعطاياه أو ببصائره أو بِتَنَزُّلاته أو بمشاهداته، فتجد محبة المريد في هذه المرحلة، على قدر مشاهدته وهذه ليست محبة خالصة لله تعالى، بل تغشاها شوائب نفسية كالطمع والرغبة والإرادة وغيرها. فتجد المريد يحب النبي صلى الله عليه وسلم لتجلي روحه أو تجلي ذاته عليه فيرى فيها الجمال والكمال كله، مما يجعل محبته مرتبطة بالمشاهدة ـ غير مرتبطة بالمحبوب صلى الله عليه وسلم ـ وبذلك تكون محبة لغير وجه الله تعالى، وتكون محبة مرتبطة بِنَفْس المريد وهذا يجعل بينه وبين **إخلاص المحبة حجابا** لا يتخطاه حتى يرتقي في هذا المقام من المحبة، ولا **يتخطاه المريد** إلا من خلال:

أولا: بمحبة شيخه لذاته، فهذا يقيه بعض الشيء إن وصل إلى مقام محبة النبي صلى الله عليه وسلم، ومحبة الله تعالى، أن يحبه للتجليات التي تتجلى عليه، ولكن رغم هذا فإنه لا يَسْلَمُ منها. لأن تجلي ذات النبي تجعل للمريد نظرةً إليها بالكمال والجمال، وهذا ما يورث محبتها لنظرته إليها، وليس لارتباطها بالله عز وجل، وليس لأنها ذات خَصَّها الله بتنزل أنواره وأسراره وأسماءه وتجلياته عليها.

ثانيا: بإخلاص التوجه حيث يكون التوجه لله تعالى وما جاء منه فتلك تجلياته، ولكن نتوجه لله ببصائرنا، وليس للتجليات، وما تَنَزَّل علينا فهو منه. إذن نحب أصلَ التنزيل وليس ما تَنَزَّل من مشاهد وتجليات، ومن ذلك أيضا تَنَزُّل مشاهدة ذات النبي صلى الله عليه وسلم وتنزل أنواره. فإذا كان أصل توجه القلب لله عز وجل لا تحجبه تنزلاته عنه جل جلاله، وإذا كان هذا توجه القلب اتصف هذا القلب بإخلاص المحبة لله تعالى، ولنبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الصحيح في الأمر.

ثالثا: بمحبة الحقيقة المحمدية وليس صورة تجليها؛ أي أن يعلم المريد أن كل ما تنزل عليه من تجليات محمدية أو تجليات أحدية هي ليست حقيقة التجلي الأحدي والمحمدي، ولكنها صورة التجلي. والمحبة تكون لحقيقة التجلي وليست لصورته لأن الصورة قد تظهر وتغيب وتتغير حالتها ويتغير شأنها، لكن المحبة الخاصة الثابتة تكون للحقيقة الأحدية والأحمدية لأنها حقيقة واحدة لا انقسام فيها ولا تغيير، وتتجلى بصور لا يجب أن تَحْجِب المريد في هذه المرحلة عن محبة حقيقة سيدنا محمد وحقيقة الله تعالى، ولا يصل المريد إلى حقيقة الله تعالى إلا بالوصول إلى حقيقة سيدنا محمد، ولا يصل إلى حقيقة سيدنا محمد إلا بتجلي صورة حقيقة سيدنا محمد فإن حجبته هذه الصورة لم يصل إلى حقيقة التجلي في هذا المقام فقط. لأن المريد إن ترقى وزادت معرفته لله تعالى وبنبيه صلى الله عليه وسلم وصل إلى بعض حقائق تجليات النبي التي هي تجليات لله تعالى، ولا يتجلى الله تعالى للعبد إلا في حقيقة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الأحمدية بانعكاس المرآة الحبيبية على ذاته وروحه. فحينئذ تَخْلُصُ محبته لرسول الله بسر ارتباطه بالله، وهذا المقام الذي يسمح للمريد أن يمر من محبة النبي صلى الله عليه وسلم ذاتًا وروحًا إلى محبة الله تعالى.

و بعدها مقامات أخرى سنتطرق إليها بإذن الله تعالى، ولكن سِر الارتباط بين محبة سيدنا محمد ومحبة الله تعالى هو إخلاص المحبة لحقيقة سيدنا محمد لتجلي الله عليها، وليست محبة صورها كجمال الذات وأنوار الروح وما يحصل للمريد من استئناس وسُكْرٍ بها، هذا والحمد لله رب العالمين.

5/ مقام الفناء في محبة رسول الله:

المقام الخامس من مقامات المحبة وهو مقام فناء المحبة حيث يَفْنَى المريد في محبة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، ويَفْنَى في تجليات الله على ذاته صلى الله عليه وسلم بعد أن اتصف بصفات ذاته المحمدية وروحه الأحمدية واكتملت فيه المحبة وأخلصت له المحبة صار عليه أن يفني المحبة ليفنى عنها في المحبوب صلى الله عليه وسلم ليتمكن بعد ذلك من الارتقاء إلى الفناء في محبة الله تعالى.

و لا يفنى العبد في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا يغيب حضوره عن قلب المريد لحظة واحدة، ولا يغيب جَسَدُه الشريف عن بصيرة المريد لحظة واحدة حتى يَتَمَلَّك الرسول صلى الله عليه وسلك كل المريد فيصبح لا يرى إلا به، ولا يسمع إلا من خلاله، ولا يحيا إلا بحياته الدائمة بصلاة الله الدائمة عليه وسلامه الدائم. وهذا المقام يكون في البداية حالا يرد على المريد فيأتيه مرة فلا يجد في الوجود غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفنى ويذوب وتذوب ذاته في محبته صلى الله عليه وسلم ثم ينقطع عنه هذا الحال ويرجع إلى مقام إخلاص المحبة، ثم يأتيه الحال مرة أخرى ثم يغيب، حتى يَقِرَّ هذا الحال في باطن المريد وهو مقام فناء المحبة، ولا يقر هذا المقام إلا عن طريق ثلاث مراحل كبرى:

<u>المرحلة الأولى:</u> **أن لا يرى المريد إلا بعيني النبي ولا يسمع إلا بأذنه، ولا يبطش إلا بيده، ولا يسع إلا بقدمه الطاهرة** صلى الله عليه وسلم، لتصير حياة المريد حياة فانية في محبة رسول الله مكتملة بمحبة رسول الله مشرقة بأنوار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

والمرحلة الثانية: **أن لا يجد المريد محبة في قلبه إلا محبة الله تعالى** لأنه تلقائيا إذا عاش بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سرت محبة الله إلى قلبه على

قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فوجد محبة الله تسكن كل كيانه لأنه يحيا بحياة رسول الله، ورسول الله فَيْضٌ من محبة الله، فإذا فَنَا في هذا الفيض وعاش به صار جزءً من فيض المحبة الفائض من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا الفيض يتقوى أكثر فأكثر كلما زادت درجة المريد في محبة الله تعالى زاد فيض المحبة النازل عليه.

أما المرحلة الثالثة ليتحقق المريد بفناء المحبة هو أن يحيا بهذا الفيض الفائض من أنوار ذات الله تعالى على سيدنا محمد فهذا الفيض هو سر عين الوجود ومنه خلق سيدنا محمد ومنه فاضت أنوار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلا يجد المريد نفسه إلا جزء من هذا الفيض الإلهي ثم لا يجد إلا فيض المحبة الإلهي ، وهذا هو عين الوجود فبهذا الفيض خلقت الأكوان، وبهذا الفيض نُفِثَت الحياة لأن الأصل الكوني فيض من المحبة، وهذه هي المحبة التي يتكلم عنها الأولياء الصالحون وليست المحبة الأرضية أو الذاتية، حتى محبة سيدنا محمد فهي لا تكمل ولا تتحقق إلا بتحقق المريد بفيض المحبة على الوجود، وهذا مقام عال جدا من المحبة.

وخلاصة إذا صار المريد جزءً من هذا الفيض فَنِيَ عن الفيض في المُفَيِّض، وبهذا يتوجه إلى محبة الله تعالى، وهو المقام السادس بإذن الله تعالى.

6/ مقام محبة الله تعالى

المقام السادس من مقامات المحبة هو مقام محبة الله عز وجل عن طريق فيضه، حيث إن المريد لا يصل إلى هذه المحبة حتى يجتاز كل المقامات السابقة، فإذا وصل العبد إلى الفناء في فيض المحبة وصل إلى محبة الله عز وجل، فتجد قلبُه لا يذكر غير ربه، ولا يلتفت لسواه مُغْرِقٌ في ذكره وشكره، متوهجٌ و مُشتعل بالمحبة والقرب لا يرى في الكون غير الله، ولا يرى في الكون وجودا مع وجود الله، بل يرى الله في كل شيء ويحب الله قبل كل شيء، وترتبط روحه بمحبة الله كما كانت قبل ذلك في عالم الأرواح ـ قبل أن تَحُول بينها الحجب والمقامات وتُقَيَّد في الجسد حيث كانت فيضا من محبة الله نفخة منه ذائبة في حب الله والقرب منه ـ فتعود الروح إلى أصلها وتتذكر الله عز وجل، وترجع إلى ربها فلا تجد أحدا غيره، كلما التفت المريد العارف ـ في هذا المقام ـ لشيء وجد فيه الله عز وجل متجليا إما باسم أو بصفة أو بتنزيل فيزيد ذلك محبته، ويصير المريد العارف في كل يوم تزداد محبته لله عز وجل؛ فلا منتهى في مدارج محبة الله، فكلما أحبه أكثر عرفه أكثر وكلما عرفه أكثر أحبه أكثر، وإذا عرفه أكثر أحبه أكثر، وهكذا فالمدارج لا حَدَّ ولا نهاية لها لأن المحبة هي سر خلق الله لنا وهي يده المبسوطة إلينا، وعنايتُه الحافظة لنا، وعينُه الناظرة إلينا، ولولا هذه المحبة ما كان الله ليخلقنا ولا ليُوجِدنا من العدم، فَسِرُّ ارتباطنا معه محبة، وسِرُّ اتصالنا به محبة، وسر معرفتنا له محبة، وسر خلقه لنا محبة، حتى أن قلب المريد العارف لا يعرف ـ بعد هذا المقام ـ إلا ربه، ولا يحب غير ربِّه.

ويترقى ـ من هذا المقام ـ إلى مقام أكبر فيصبح هو محبة الله عز وجل، بل هو مخلوق من محبة الله مصنوع من محبة الله، خَلَقَه الله بمَحَبَّتِه وجعله مَحَبَّتَه. وهذا من أعلى مقامات درجات المحبة: فالعبد في حقيقته محبة من الله عز وجل،

ولكن هل سيدرك هذا ويصل إلى تلك المحبة أم سيحول بينه وبين ذلك عوائق ويَهْوِي به ذلك في النار ؟، فالعبد إن لم يتصل بهذه المحبة لم يتصل بأصله، وهذه المحبة هي تنزل لله عز وجل وتَجَلٍّ واضح لله عز وجل، ولو كان الله يتجلى بذاته لَتَجَلَّت ذاته وراء ستار من المحبة؛ فأعلى ما يصل إليه المريد في طريقه إلى الله من تجليات الله هو تجلي محبة الله عليه، حيث إن أعلى تجل لله هو تجلي محبته، وهو الأقرب من تجلي ذاته، لأن الذات كمال والمحبة تنبع من أصل الذات والشيء الوحيد الذي ينبع أصله من ذات الله تعالى وهو ليس جزءً ولا قطعة منها، إذ لو كان جزءً منها لا يمكن رؤيته، ولا يمكن لذات الله أن تتجزأ لكنه منها أصله وليس منها. وهذا كلام يفهمه العارفون، لهذا فأقرب تجل لذاته تجلي بعض من محبة ذاته لأن المحبة أصلها من ذاته وليست ذاته.

وصول العارف بالله إلى هذا التجلي هو تحقيق لغايته وبلوغ لمقصوده ويكون بهذا أنهى سيره إلى الله تعالى وأكمله و ما بقي بعده زيادة من فضل الله له، وتنزل منه عز وجل إليه وفيض من ذاته على عبده وترقية له وتصرف فيه كما يريد هو وإذا وصل المريد إلى هذا المقام صار يعيش غير عيش الناس، ولا يشبه عيش الناس في شيء، ولا يشبه أكله أكلهم، ولا شربه شربهم، ولا نومه نومهم، ولا مشيه مشيهم، لأنه قد بلغ إلى أسمى الوجود في الموجود بتجلي الواجد، وهذا انعكاس في مرآة قلبه لتجلي الوجود، وهذا الوجود الآن هو وجود بغير موجود، بل إنه وجود بإيجاد الله عز وجل وهذا غاية الكمال. فإن أكل فإن الله يُطْعِمُه، وإنَّ في ذاك الطعام تجل من تجليات محبة الله له، و إن شرب فذاك الشرب ماءٌ فاض من نَبْعِ محبة الله على وجوده فصار الماء ماءً يشرب، فيصير خَلْقٌ ليس كالخلائق، بل يصبح خلق تحقق بالخَلَقِيَةِ فوصل إلى خالقه وأُكْمِلَت رسالته وتَمَّت معرفته وحُقِّقَت غايتُه وفاضت عليه محبَّة من هُ ، وتلك المحبة لا زمان لها ولا مكان، لا بداية لها ولا نهاية بل إنها مرتبطة بذات الله، فإذا دخل فيها العبد عاد إلى أصله،

وارتبط بأصل البقاء وانتفى عنه داء الفناء، وهذا لا يصله إلا خيرة من اختاره الله من خلقه ليُوصِلَه إليه، ويربطه به، فيُحَقِّقَه بأصل وجوده ويُفَيِّضَ عليه من نبع محبته... هذا والحمد لله رب العالمين.

7/ مقام المحبوبية عند الله تعالى:

ننتقل بإذن الله تعالى إلى المقام السابع والأخير من مقامات المحبة، وهو فضل من الله عز وجل على عبده فقد يتفضل به وقد لا يتفضل، فهو منه إلى العبد، ولكن إذا بلغ العبد إلى مقام محبة الله تعالى فإن الله بفضله يُكْرِمُه بهذا المقام، وهو مقام المحبوبية عند الله تعالى لأن العبد إذا صار جزءً من محبة الله تعالى الفائضة على الأكوان والفائضة على قلب سيدنا محمد، أحبه الله تعالى لأن الله تعالى يحب كماله ومن عين كماله المحبة، فالله يحب محبته، ومن محبته ذلك العبد الذي عاد إلى أصله وامتزجت روحه بفيض محبة الله تعالى. فإذا امتزجت روح العارف بالله بفيض محبة الله وصارت روحه محبة من الله فائضة بفيضه على الخلائق، أحبه الله بمحبته لكماله، ومحبة كماله لمحبته، لأن العبد حينئذ يدخل في محبة الله ومن دخل في محبة الله أحبه الله، لأنه من فيضه وفيضه واحد. وما أحب الله عز وجل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا لأنه جزء من هذا الفيض؛ فهو صلى الله عليه وسلم فيض للرحمة، فيض لصفات الله، فيض للمحبة، فهو كلية قيض من الله تعالى وفيض من محبته تعالى على الأكوان، وإذا دخل العبد في هذا الفيض وصار فيضا مُفَيَّضًا يفيض من الله تعالى بالمحبة والرحمة على الخلائق والكائنات أحبه الله تعالى، وإذا أحبه أغناه عن كل شيء فلا يحتاج بعدها إلى أحد سوى الله عز وجل، ولو كان في حياته فهو غني عن الخلائق أجمع بل هو فيض من الله تعالى على خلقه.

<u>ومن علامة محبة الله تعالى لخاصة عباده في حياتهم:</u>

1. **أولا: أن يُغْنِيه عن كل شيء**، ويُغْنِيه عن جميع المخلوقات فلا ينتظر نفعًا أو ضرًا من أحد، ولا ينتظر عونًا من أحد، فهو غَنِيٌّ بالله غير محتاج لغيره لأن الله قد أحبه، وإذا أحبه فقد صار محبةً لله فيَّاضةَ على الأكوان وليس فقط جزءًا منها .
2. **ثانيا: انتشار الرحمة والفيض والمحبة من الله عز وجل على يديه،** فإذا صار فيَّاضًا على الخلائق؛ يُطْعِمُ الجائع ويُقَرِّب البعيد، ويَدُلُّ على الله الطَّالِبَ ويَسْقِيه محبةً، وَيَسْقِي الخلائق كلهم محبةً ورحمةً ويفيض عليهم بالحياة فيصبح بينهم كنبع من منابع الماء بين قوم عطشى في صحراء ليس فيها غير ذلك النبع، فتجده مصدرا للحياة على الأرض، وهذا في حياته.

<u>أما من **علامات محبة الله تعالى لخاصة خاصة عباده بعد مماتهم**:</u>

1. **أن يُخَلِّد ذكره إلى يوم القيامة** لأن الله خالد، ومن أحبَّ اللهَ أحبَّهُ اللهُ، وصار من محبة الله ذكره في الأرض والسماء خالدًا إلى أن يشاء الله تعالى.
2. **أن يبقى ببقاء الله عز وجل ولا يمسه الفناء**، وهذه لها معاني أخرى غير معانيها اللفظية التي لا يدركها إلا غوث الأولياء، بل وكيف يُدْرِكُها ويُفَسِّرُها ويفهمها من لا يصل إليها ويعيش بها.

إن العبد في هذا المقام يعود لأصله، فإن عاد إلى أصله عاد بأصله إلى أصله، والجسد أصله من الطين فيعود إلى الطين، لكن أصل الروح هي الله عز وجل لقوله تعالى: "فإذا سَوَّيْتُه ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين"[1]، فهذه الروح تعود لأصلها فتدوم وتبقى. وإذا عادت لأصلها لم تعد روحًا بل عادت محبةً

[1] ـ سورة الحجر، الآية: 29

و فيضًا، والفيض من الله وإلى الله، فلا يَمَسُّها الفناء ويَعْقُبُها البقاء أبد الآبدين ولو فَنت الجنة والنار، بقيت تلك الروح الفانية عن الروح محبة بأصلها في الله عز وجل دائمة بدوامه، وذلك فقط لمن اختصه الله بمحبته فصَيَّرَهُ من المحبوبين، والله لم يجعل أحدا من المحبوبين كسيدنا محمد، بل أصل المحبوبين هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل غيره، لهذا وحتى الجنة والنار لم يبلغا إلى درجة المحبوبية، فكيف بمن بَلَغَ درجة المحبوبية و فَاقَ الجنة والنار ، واتصل بأصله أن يفنى بفناء الجنة والنار، ولم يجعل الله تعالى طريقًا إلى هذا المقام إلا عبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكل ما ذكرنا من المقامات السابقة طريقٌ واحدٌ يُوصِلُ إلى هذا المقام، ولو أخْلَلْنَا بذكر مقام واحد لما وَصَلَ العبد إلى هذا المقام، بل إنها سلسلة نورانية متصلة بِمَحْبُوبِيَة الله عز وجل ومُنْتَهَاها هو هذه المحبوبية. وما بعد ذلك يَعْلَمه الله تعالى، فإذا اتَّبَع العَبْدُ الطَّرِيق وفنا في سيدنا محمد وفنا في محبته، وفنا في فيضه دخل عن طريق محبوبية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى محبوبية الله تعالى، فإن دخل من هذه الطريق أحبه الله تعالى وجعله من الخالدين بهذه المحبوبية؛ فالمحبوبية في الأصل هي نجاح العبد في مهمته وانتقاله من مقام **العَبْدِيَة** إلى مقام **العُبُودَة** إلى مقام **العَبْدَة** إلى مقام **المَحَبَّة** إلى مقام **الفَيْضِيَة** فيصير فيضا وتنمحي عبوديته في المقامات السفلى من العبودية، حتى يصير نور محبة عائد إلى أصله في أصل الله عز وجل، و"**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**"[2]، والحمد لله رب العالمين.

[2]ـ سورة الجمعة، الآية: 4

IV. مقامات الطاعة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، لقد أنهينا بتوفيق من الله تعالى المقامات الثلاث الأولى، وننتقل إلى المقام الرابع وهو مقام الطاعة، وفيه ما فيه من حِكَم ومعاني.

الطاعة بشكل عام تتجلى في البداية بطاعة المريد لشيخه واتباع أمره والانتهاء عند نهيه، والطاعة في هذا المستوى درجات فهناك طاعة بالتسليم، وهناك طاعة بالإجبار، وهناك طاعة من أجل تحصيل المريد هدفا أو رغبة وليس من الله ورسوله، كأن يطيع شيخه ويتقرب منه رغبة في الظهور صورة معه، أو من أجل أن تزداد مشاهدته، أو لأهداف أخرى سواء أكانت دنيوية أو دينية. وهناك طاعة أيضا من أجل نيل المقصود وتلك هي الطاعة الخالصة لله تعالى، فالطاعة مقامات عديدة، هذا في مستواها الأول وهناك مستويات أخرى تتجلى فيها طاعة المريد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وطاعة واحدة تتجلى فيها طاعة المريد لربه، لهذا فالمقامات ثلاثة أصناف:

1. ـ مقامات طاعة المريد لشيخه، وتتضمن بدورها ثلاثة مقامات.
2. ـ مقامات طاعة المريد للنبي صلى الله وسلم، وتتضمن أيضا ثلاثة مقامات.
3. ـ مقام طاعة المريد العارف لربه عز وجل، وهو مقام وتر لا يتعدد.

مقامات طاعة المريد لشيخه:

1/ مقام الطاعة بالامتثال:

حيث يُطَبِّقُ المريد تعاليمَ شيخه بحذافيرها دون زيارة ولا نقصان امتثالا ظاهريا فقط ـ وهذا مقام عال جِدًّا بالنسبة للمريدين الذين بَدَأُوا السير منذ فترة قصيرة ـ، ولكنه في مقامات الصِّدِّيقِيَة يُعَدُّ أَوَّلَ مقام.

فالمريد حينها يُطيع شيخَه ويمتثل أمره امتثالا له فقط. إن وافق ذلك رغبته امتثل، وإن لم تُوَافِقْهَا امتثل كذلك. ويُطَبِّق أمر شيخه لأنه فقط أمر من شيخه والواجب عليه والمفروض أن يطيعه ولو كان غير راض بذلك الأمر أو القرار، وربما يعترض باطنه عليه، لكن مع ذلك يطبقه امتثالا لأنه مريد وذلك شيخه، وقد نقول هنا بأن هذه الطاعة تكون مصحوبة بالإجبار، إذ لو أتاح الشيخ لمريده أن يختار لاختار غير ذلك.

ويُطِيع المريد ذلك الأمر أيضا دون محبة في أَمْرِ شيخه، ودون ظن حسن في ذلك الأمر، وهنا يكون المريد يَتَّبِعُ مع شيخه **الشريعة الظاهرة** وهي **طاعة الجوارح**، ولم ينتقل بعد إلى **الشعائر الباطنة** التي تتطلب **التسليم والتفويض والمحبة والفناء**، وهذه الشريعة الظاهرة هي أول ما يبدأ المريد السير مع شيخه وبدونها لا تتحقق الشريعة الباطنة إذ أنها هي مفتاح الشريعة الباطنة.

وقاعدة هذه الشريعة الظاهرة:

هي أن يطيع المريد ويمتثل بظاهره ويهمل أفكاره وأوهامه الداخلية من اعتراضات أو تأويلات أو غيرها، لأن المريد في هذه المرحلة لا تجد باطنه قد صفا بعد ولا تنور بأنوار الحقيقة، لأنه لازال يسلك مع شيخه طريقة الشريعة الظاهرة، وفي الحقيقة تجده ولو طَبَّقَ هذه الأمر فإنه لا ينتفع به كثيرا، وذلك لعدة أسباب:

- **أولا، لأنه لا يحسن الظن في أمر الشيخ**، فإنه لا يظن أنه بتطبيقه لذلك الأمر سينجح وسيتطور في سيره، بل يحسب ذلك الأمر واجبا عليه تطبيقه، بينما حسن الظن في أمر الشيخ وإذن الشيخ هو الذي يجلب المنفعة للمريد
- **ثانيا، لأن باطنه يكون مازال مثقلا بظلمانيته ونور ذلك الأمر لا** يلامس إلا ظاهره، فلا يَبْسُط أنواره إلى باطن المريد، ويكون ذلك الجفاف والإعراض في باطنه، حائلا بينه وبين دخول نور الطاعة وبالتالي حائلا بينه وبين الاستفادة رغم أن ظاهره يستفيد بعضا ما.
- **ثالثا، لأنه غير مُسَلِّمٍ بقلبه، و غير مطمئن البال**، فذلك يبقيه مثقلا بظلمانيته ويبقي قلبه مقفلا، فلا يحَقِّقُهُ بالمعاني والحِكَم من ذلك الأمر الذي صدر من شيخه.
- **رابعا، لأن باطنه مُعْرِضٌ عن ظاهره، وظاهره معرض عن باطنه**، فإن بلغت الاستفادة الظاهر لا تبلغ الباطن، وهذا ما يُشَكِّل عُقْدَةً من النفاق في قلب المريد إن استمر الأمر هكذا دون أن يتطور حال المريد، وقد يُشَكِّل هذا حجابا لباطن المريد يَمْنَعُهُ من مطالعة الحِكَمِ وراء ذلك.

والشيخ لا يأمر المريد بشيءٍ إلا ليرقيه في سيره إلى الله تعالى؛ ففي المقال ترقيةٌ كبيرةٌ، وقد تكون أكبر من الذكر نفسه، هذا إذا بلغ نور ذلك المقال إلى قلب المريد. أما إذا وصل إلى ظاهره فقط فإنه لا يستفيد تلك الاستفادة التي كان يرجوها الشيخ له، ولا يأمره كذلك إلا ليختبر صِدْقَه وطاعتَه له، وفي ذلك اختبار للمريد لأنه إذا ثبت صدقه وطاعته يترقى في السير أكثر، ويأمره كذلك ليُسَلِّمَهُ من المهالك سواء ما كان منها دنيوي أو أخروي، فمثلا إذا منعه من الذهاب إلى مكان

معين فذلك لضرر أو لحادث كان سيحصل له في طريقه إلى ذاك المكان. وإذا منعه من الخوض في عالم الجن فذلك لأنه سينحرف ويزيغ عن الطريق، ويصير فتحه فتحا ظلمانيا، فإذا التزم المريد بأوامر الشيخ وأطاعها فإنه يتحقق بهذا إن كان تسليمه وطاعته من باب شريعة الظاهر والباطن، ويستفيد بعضَه إن كانت طاعته من شريعة الظاهر فقط، وذلك يكفي المريد من الزيغ والمهالك ويسلكه في طريق الحق ولكن لا تبلغ أنوار أمر الشيخ إلى باطنه فيشهد معناها ويعلم حكمتها، حتى إذا أطاع بشريعة الباطن بلغه هذا الفضل من ربه، والحمد لله رب العالمين.

2/ مقام الطاعة بالإرادة

المقام الثاني من مقامات طاعة الشيخ هو مقام الطاعة بالإرادة، حيث تجد المريد يطبق أمر شيخه رغبة في نفسه، ويمتثل لأمره حُبًّا فيه مع استجابة ظاهره وباطنه، و أول ما يستجيب لهذا الأمر هو باطنه حيث إذا تلقى أمرا من شيخه سُرَّ باطنه واستنار، ووجد من باطنه رغبة وإصرارا وعزيمة على القيام بهذا الأمر فيعزم عليه، وتوافق إرادته إرادة شيخه، حيث يطيع لأن باطنه يريد ذلك.

وهذه الطاعة تأتي من خلال:

أولا: إحسان الظن في الشيخ: حيث يعتقد المريد أن في أمر الشيخ فائدة وحكمة تعود بالنفع عليه، فيبادر ويسارع إلى فعله في أقرب وقت ممكن ومن **علامة الامتثال بالإرادة المسارعة إلى تطبيق ذلك الأمر.**

ثانيا: بموافقة إرادته إرادة شيخه: فهي لا تكون موافقة لها فحسب، بل تكون خاضعة لها، لأنها في مستوى من قبل كانت مخالفة لها - وتدريجيا تنتقل إرادة المريد من مخالفة الشيخ والاعتراض على أمره، إلى الانصياع والخضوع له، فتصير إرادته خاضعة لإرادة شيخه؛ فإذا ما أرد شيخه أمرا وأمر به وافقت إرادة

المريد ذلك وسارع إلى تطبيقه، وإذا لم يوافق إرادة الشيخ أمرا لم توافقه إرادة المريد كذلك،

ثالثا بتسليم المريد أمره باطنيا إلى أمر شيخه: وبإدراكه أنه عاجز عن تسيير نفسه وتصويبها إلى الخير، وأن الأحق بذلك هو شيخه فيُسَلِّم له في ما أمر، وليس التسلم فقط، بل التسليم مع اعتقاد النفع في أمر شيخه، وهذا يأتي بعجز المريد عن تسيير أمره وإدراكه ذلك.

رابعا بمعرفة المريد حقيقة الأمور وأن أمر شيخه هو أمر من الله تعالى: وأن رغبة المريد وإرادته من أهواء نفسه، فإذا عرف هذه الحقيقة الظاهرة الواضحة، التي لا تخفى ولا يسترها حجاب، صار المريد طائعا لأمر شيخه بإرادته، وبإرادته خاضعا لإرادة شيخه.

فهذه هي طرق انتقال المريد من مستوى **الطاعة بالامتثال** إلى **مستوى الطاعة بالإرادة**، وهو مستوى رفيع جدا لكن لازال فوقه مستويات كثيرة سنذكرها بإذن الله تعالى، وكذلك من علامات تحقق المريد بهذا المقام،

- **علامات تحقق المريد بهذا المقام:**

- **أولا:هو أن لا يجد في باطنه ذرة اعتراض على أمر شيخه.**
- **ثانيا أن يسارع إلى تطبيق هذا الأمر في أقرب وقت.**
- **ثالثا: أن يعتقد النفع في أمر شيخه**، فيطيعه ويخضع له ويمتثل لأمره إرادة منه وليس إجبارا عليه.
- **رابعا: أن لا يجد المريد ثقلا في نفسه في تطبيق أمر شيخه**: وإن كان يجد هذا الثقل فليعلم بأنه لازال في المقام السابق بل عليه بالعكس أن يجد خفة في نفسه وعزيمة على فعل ما أمره به شيخه.

- **خامسا: أن لا يشك أبدا في صحة ما أمره به شيخه، و أن لا يفكر فيه أصلا**: بل عليه أن يسارع إلى تطبيقه دون تمهيل ولا تفكير لأن تمهيل تطبيق الأوامر حتى التدبر فيها والتفكر من علامات المنافقين لعنهم الله تعالى حيث يقولون سمعنا ثم يسكتون ، وهذا تمهيد للأمر، ثم يقولون دعنا نفكر، وفي هذا التفكير يدخل الشك وتدخل الوسوسة وسوء الظن إلى عقولهم حتى تخالف إرادتهم إرادة الشيخ فإن أطاعوا يبقون في هذا المستوى أما إن كفروا وعصوا ينزلون من الطاعة إلى العصيان، فيقولون سمعنا وعصينا، وهذا التمهل في الفعل هو السبيل المؤدي إلى الكفر والعصيان.
- **سادسا: أن يقدم المريد على امتثال أمر شيخه بفرح واستبشار وحضور واستحضار وطلب قبول من الله تعالى**، ولا تحدثه نفسه لا قبل أن يفعل هذا الأمر ولا حين يفعله لأن النفس قد تغوي أيضا، فقد تريد ما يريد الشيخ فتطبق أمره فتُغْوِي المريد حتى إذا هَمَّ بعمل ما أمر به الشيخ وسوست له نفسه لتهوي به في إحدى المزالق، لتقول له: "أن لو فعلت هذا كان الشيخ سيفرح أكثر ، وهو لم يأمرك بفعل هذا إلا لظنه أنك لن تستطيع القيام به، فهو لازال ينظر فيك النقص والضعف فافعل هذا الأمر لتثبت له أنه تغيرت وتقدمت"، أو توسوس له لتقول له: "مع فعلك لهذا الأمر افعل هذا أيضا" مما يكون فيه ضررا للمريد ومنافاة لقصد شيخه من ذلك الأمر، والحمد لله رب العالمين.

3/ مقام الطاعة بالمحبة:

المقام الثالث من مقامات طاعة الشيخ هو مقام الطاعة بالمحبة، وهو أرقى مقام يصله المريد في طاعة شيخه، فهو أرقى من الطاعة بالامتثال لأنها إجبار، والطاعة بالإرادة خيار، والطاعة بالمحبة تستلزم الطاعة الكاملة والدائمة التي لا تتغير ولا تنحصر لأن الطاعة بالإرادة قد تتغير بتغير رغبة المريد وإرادته، أما طاعة المحبة فهي تسليم للمحبوب، وهذه هي الطاعة التي ترقي في السير إلى الله تعالى من مقام إلى مقام ومن درجة إلى درجة، وتذهب بالمريد كالبرق في سماء السير إلى الله، وتنعكس أنوار هذه الطاعة على ظاهره وعلى باطنه، فتقرب ظاهره وتكشف باطنه وتنوره، وهذه هي الطاعة المقصودة للشيخ في السير إلى الله تعالى، وهي التي ترقي إلى طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبدونها لا يمكن المريد أن يترقى حقيقة إلى طاعته صلى الله عليه وسلم. أما المحبة فقد فصلنا فيها لما فيه معرفة بالسالك، ولكن الإضافة هنا هي أن الطاعة يكون دافعها المحبة، إذ أن المُحِب لا يمكنه أن يعصي ، وفي هذه **الطاعة ثلاثة أقسام**:

1/ طاعة بمحبة الطاعة، وهي التي يطيع فيها المريد شيخه بمحبة طاعته له، حيث يحب أن يطبق أمره وينتهي عند نهيه.

2/ طاعة محبة أمر الشيخ، لأنه من أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو موفق مسدد، فيه الدلالة والإشارة إلى طريق الفلاح والنجاح.

3/ طاعة محبة الشيخ، وهذا أسمى قسم في محبة الطاعة، طاعة المريد شيخه في السير إلى الله تعالى.

وبهذه المحبة تَنْغَرِسُ أنوار الطاعة في ذات المريد وباطنه، ويُصْقَلُ باطنه ويغسل ويتطهر من إعراضه وظلمانيته وأهواءه ويستنير بأنوار شيخه، ويكتمل لديه

مقام طاعة الشيخ فيكون بذلك مؤهلا للدخول في مقامات طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والترقي فيها .

أما من **علامات تحقق المريد بهذه المحبة في طاعة شيخه:**

1. **أن تجد في طاعته تلك ترقية له في المقام وازدياد في الدرجة.**
2. **أن تحصل له البركة والتوفيق فيما يقوم به** من أمر شيخه محبة فيه، فيجد الأمر ميسرا غير معسر يدخله من أي باب شاء ويجد في ذلك فضلا كبيرا يُغْنِيه عما سوى ذلك من الأبواب.
3. **أن لا ينسب المريد الطاعة إلى نفسه**، بل يبقى دائما تحت لواء الانكسار والتقصير ويعتبر نفسه مقصرا في طاعة شيخه غير قائم بحق خدمته.

أن يشهد الحكمة وراء كل أمر من أوامر شيخه فإذا وصل إلى هذا المقام وظل يشهد الحكم، وصل إلى أن يشهد الحكمة الكبرى وهي أمر رسول الله في الشيخ فينتقل بذلك إلى طاعة رسول الله التي تجلت بداية في طاعة شيخه، ولا ينتقل إليها حتى يَشْهَدَ ذاك التجلي، فإذا شَهِدَهُ انتقل إلى طاعة رسول الله ولكن عن طريق شيخه؛ فبطاعة شيخه يطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يرى بعد ذلك شيخه، ولكن يرى أَمْرَ رسول الله وإِذْنِهِ المُتَصَرِّف في الشيخ، وينتقل بعد ذلك إلى مقامات أخرى في طاعة المريد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

مقامات طاعة المريد للنبي صلى الله وسلم

ننتقل إلى المستوى الرابع من مستويات الطاعة التي تدخل ضمن طاعة المريد للرسول صلى الله عليه وسلم حيث يكون قد انتقل إلى مشاهدة مصدر الأمر النازل على شيخه، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، فينتقل إلى طاعته، والمستوى الأول في ذلك، هو مستوى الطاعة بالتسليم،

4/ مقام الطاعة بالتسليم:

حيث يطيع المريد كل أوامر الرسول بداية بالسنن الظاهرة فيتبعها ويقتدي بها ويغرسها في حياته، ثم ينتقل إلى السنن الباطنة، وهي رحلة الإسراء والمعراج، ثم يعمل على تلقي الخطابات الباطنية من الرسول صلى الله عليه وسلم فيطيعها بحذافيرها دون نقص أو زيادة مسلما له خاضعا لأمره لا يراوده في ذلك ريب أو شك.

وهذا المستوى الأول لطاعة المريد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتحقق به المريد حتى يكون واصلا إلى ذات النبي صلى الله عليه وسلم يرى تجلياته في الكون ، وذلك ليشهد نور الأمر المتنزل من ذات النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أطاعه تَرَسَّخَت تلك الأنوار في ذاته، وفي كل طاعة تزداد نورانية المريد واتصالها بذات النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا المقام ثلاث علامات:

أن تجد المريد يستشعر في قلبه التعظيم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيطيع ذلك الأمر وهو معظم له، ويعتبره فضل من الله عليه. وليس باستحقاقية منه.

أن تجد المريد متشوقا لطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيحاول ما أمكن أن يبحث عن سننه وشمائله ليقتدي بها، ويتَلَقَّى في باطنه من النبي صلى الله عليه وسلم ما يجعله يتقرب منه ويقتدي به.

أن تضمحل رغبات المريد وشهواته، ويطغى على ذاته نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجده مطيعا له في كل حركاته وسكناته.

الحضور الدائم معه صلى الله عليه وسلم حيث لا يغفل عنه المريد، وبذلك لا يمكن أن يعصيه في حضوره، فتثبت في هذا المقام أنوار الطاعة في قلب المريد وتتقوى درجة بعد درجة حتى ينتقل المريد إلى مقامات أخرى في طاعة رسول الله.

لكن هذا المقام يرتكز :بداية على الشهود حيث إن المريد لا يدخل إليه حتى يكون قد شهد ذات رسول الله، ويرتكز على الحضور الدائم في حضرة رسول الله وعدم الالتفات عنه بالعقل أو القلب أو شيء من الجوارح، وثالثا بالتسليم الكامل لرسول الله وذلك يأتي نتيجة لاضمحلال شهوات النفس واندحارها، فتطغى على النفس النورانية، وتكون بذلك قد سلمت من ظلام المعصية، وقد غمرتها أنوار الطاعة، وتتقوى تلك الأنوار مادام المريد سالكا لهذا النهج. وكل هذا يرسخ أنوار الطاعة في النفس ويقيها من الزيغ في المهالك، ويُحَصِّنها حتى تبلغ المقصود، وحتى ترتقي في مقامات أخرى من الطاعة والقرب، والحمد لله رب العالمين.

5/ مقام الطاعة بالإخلاص:

والمقام الخامس من مقامات الطاعة بشكل عام، أو الثاني في مقامات طاعة النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقام الطاعة بالإخلاص، إذ أن المريد في هذه المرحلة يزيل من قلبه كل توجه غير توجهه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويزيل من قلبه كل تشوف إلى أعراض الدنيا ومنازل الخلق، وغير ذلك مما يحجر إخلاصه ويجعل طاعته تزيغ شيئا فشيئا حتى يكون وراءها مقصود آخر غير طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله تنزل بالأمر عليه، قد تسير النفس بالمريد في هذه المرحلة سيرا خطيرا جدا فقد تُعلق قلبه بأهداف أخرى من تلك الطاعة كأن يكون ذا منزلة وجاه، وأن تمَنِّيَه في مدارج عالية من الطاعة بوراثة سر رسول الله وتظل طاعته محصورة على هذا الهدف، وما ذلك إلا هوى نفسه يقوده إلى الضياع، وما هذه إلا الخطوة الأولى في طريق الانحراف يتبعها بعد ذلك الرغبة في المنصب، كأن يرغب في أن يكون وارثا محمديا أو قطبا في زمانه أو غير ذلك، ثم تهوي به من محبة المنصب والتعلق به إلى محبة ما في المنصب من كرامات وتنزلات، ثم ترمي به لتخرجه من الطريق نهائيا بالادعاء، فإنه إذا ما بلغ مبلغا تجده يظن أنه قد بلغ لمقصوده وهو ذلك السر أو تلك المنزلة، فيدعي ذلك فيهلك،

لذلك وجب على المريد أن يصحح إخلاصه وفق مفهوم الطاعة كي لا تتلاعب به شهوات نفسه رغم أن النفس هنا في درجة عالية من الطهارة التي بدأت تترسخ فيها أنوار الطاعة لكنها لم تكمل بعد، ولازال صاحبها لم يأمن من الهلاك، فعلى المريد أن يراعي مفتاح إخلاصه في باب الطاعة لكي لا يزيغ إخلاصه فتزيغ بعد ذلك طاعته لأن الطاعة باب مفتاحها الإخلاص، فيجب أن

لا يلتفت في هذه المرحلة إلى غير مراقبة رسول الله له، وأن يحصر طاعته له على ذاته الشريفة.

ومن باب الأدب في هذا المقام أن لا ينظر المريد إلى سر رسول الله ، ولا ينظر إلى مقامات المقربين منه، ليقي نفسه من الطمع، وتزحزح الإخلاص ، بل أن يركز كل التركيز على ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يفنى كل ذلك في نظره ليرتقي إلى المستوى الثالث من الطاعة لأنه يكون قد وقى نفسه من تفرع المقاصد/ ومن الطمع فتجده خاضعا لرسول الله طائعا له، ويظل يصحح إخلاصه حتى يطيع رسول الله لذاته، فإن أطاعه لذاته أحبه وارتقى إلى المستوى الثالث من الطاعة وهو الطاعة بالمحبة.

ولكن قبل ذلك لا يتصحح إخلاص المريد حتى يكون:

أولا: قد أخلص في صحبة شيخه فلم يقصد وراءه قصدا غيره، فإن كانت تلك نيته في البداية تحول ذلك الإخلاص إلى إخلاصه لرسول الله، وعليه رغم ذلك أن يبقى تحت أمر شيخه لأنه يكون معرضا للزيغ في الطريق، فهو لم يدخل بعد إلى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقيقية، والتي لا يدخلها إلى بالمقام الثالث وهو مقام الطاعة بالمحبة فتلك حضرة المحبوبية التي تجد المريد فيها قد حُصِّن من الزيغ أو من الانحراف،

وثانيا: إنه إذا شعر في نفسه شيئا من تزحزح إخلاصه عليه أن يرجع مباشرة إلى شيخه فيراجعه ليصحح إخلاصه، ويقيه من الزيغ في الطريق.

ثالثا: عليه أن يفني مقصوده كليا في الله تعالى ، وفي نبيه صلى الله عليه وسلم ليصل إليه وإلا قد يصل إلى غير ذلك، فيعجبه ويصرفه عن مقصوده

ويكون بذلك قد قطع سيره ولم يبلغ إلى حقيقة المقصود، وهو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

6/ مقام الطاعة بالمحبة:

أما المقام الثالث من مقامات طاعة المريد للنبي صلى الله عليه وسلم هو مقام الطاعة بالمحبة كما اشرنا إلى ذلك من قبل وهذه المحبة لا تأتي إلا بعد تصحيح الإخلاص وتحديد الوجهة والفناء عما سواها من الوجهات الأخرى المؤدية إلى الزيغ والهلاك، فإذا صُحِّحَ إخلاص المريد ولزم الأدب في حضرته وركز على ذاته فإن محبته للنبي صلى الله عليه وسلم تنتقل إلى درجة أكبر لأن المحبة في قلب المريد من قبل كانت منقسمة:

جلها لرسول الله	وبعضها للمقامات والسر، وغير ذلك

بل حتى الكشوفات لا تصير معترضة لطريق المريد في هذا المقام العالي لأنها الآن قد صارت مشاهدة واحدة حَقَّة بعين البصيرة بل تزداد مطامعه وهي تكون غريزة تلطخ ظلام تلك المحبة في جميع المريدين إلا أن نسبها تختلف من مريد لآخر وهناك من تضمحل وتختفي عنده نهائيا فتكون محبته خالصة من البداية وذلك نادرا ما يكون وغالبا ذاك الذي يختص بالسر وبمقامات الغوثية. فلتتصحح هذه المحبة وتكمل يغسل ظلام تلك التعلقات الأخرى حتى تكتمل المحبة في باطن المريد فإذا اكتملت صار المريد كله لرسول الله محبة وطاعة وإخلاصا وتسليما وحينها يدخل المريد إلى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم الحقيقية وهي ليست الحضرة الذاتية كما يزعم بعض الناس ولكن هي حضرته صلى الله عليه وسلم المحبوبية التي لا يدخلها إلا من كملت محبته

وفنت تعلقاته وصار كاملا لرسول الله طائعا لرسول الله، وبهذا الكمال يجمع كل الصفات النبوية ونورها فإذا دخل إلى تلك الحضرة وقف العرض أمام الجوهر وكأنه نسخة من النسخة الأصلية الذي هو رسول الله، فحينها يفنى العرض ويبقى الجوهر، فلا يرى حينها غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الحضرة مع تجليات الله وتنزلاته عليه ومناجاته وخطاباته ولا يرى أحدا من الذين دخلوا لإليها لأن كل من دخل فنا قبل دخوله وبالدخول يكتمل فناءه فحقيقة إذا توجه العارف بالله إلى تلك الحضرة لا يجد فيها غير رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنزلات الله عليه وهذا أعلى مقامات الطاعة، الذي هو الطاعة بالمحبة

فتكتمل الطاعة باكتمال المحبة، وتكتمل المحبة باكتمال الإخلاص، ويكتمل الإخلاص بتحدبد لمقصود، ويكتمل المقصود باقتداء الباطن، ويكتمل اقتداء الباطن باقتداء الظاهر، ولا يحصل اقتداء الظاهر إلا باتخاذ الشيخ والاقتداء به وطاعته والسلوك على يده،

فهذا المنهج كاملا من إتباع الشيخ إلى الوصول إلى مقامات الطاعة العليا في حضرة المحبوبية، ومن حضرة المحبوبية إلى طاعة الشيخ فهنا ترى المنهج كيفما شئت من البداية نحو النهاية أو العكس، وبهذا يكون المريد قد تَحَصَّن من الضَّيَاع لأن من دخل إلى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم المحبوبية لا يخرج منها أبدا، لأنه قد فنا فيها، ودخل نسخة والنسخة لا مكان لها إذا وجدت النسخة الأصلية، فهذا ما يُعْنَى بالفناء، ولا مُنْتَهى لمقامات الطاعة بعد، بل هناك مزيد، وهو ما سنتطرق إليه في المقام السابع، هو طاعة الله تعالى عن طريق التجليات النازلة منه عز وجل على الحضرة المحبوبية التي بلغها المريد

ومن تلك الحضرة تبدأ رحلة جديدة لا منتهى لمقاماتها وتجلياتها، في طاعة الله عزوجل ، والحمد لله رب العالمين.

مقام طاعة المريد العارف لربه عزوجل

7/ مقام طاعة الله عزوجل:

ولا يتحقق المريد بهذا المقام حتى يسلك طريق الطاعة من البداية أي من طاعة الشيخ حتى يصل إلى الحضرة المحبوبية للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن هنا تبدأ طاعة الله تعالى حيث يشهد المريد في هذه الحضرة أمر الله تعالى المتنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يفنا النبي عن ذلك الأمر فلا يشاهد إلى ذلك الأمر فيسمع ويطيع، وقد يكون تنزل ذلك الأمر

تنزلا بالتجلي كأن يتجلى الله في ذلك الأمر على عباده فيطيع العبد ما أمر به الله تعالى وهو فان في الله تعالى

تنزلا بالخطاب حيث يسمع المريد خطابا من حضرة الله تعالى في أمر معين، فيطيع ،

تنزلا مباشرا من الله على عبده كأن يكون ذلك التنزل تنزلا على ذات عبده فتجده في ذلك الأمر مطيعا لأن أمر الله هو الذي يتصرف في ذاته، وهو أعلى مقام يصله العبد في تنزل الأمر عليه، وهو أن يتنزل الأمر مباشرة في ذاته، فإذا تنزل الأمر بهذا التنزل صار الفاعل الحقيقي في في ذات المريد هو الله تعالى حيث يطيع العبد بلا طاعة لأن أمر الله متصرف فيه بالفناء فهو فان عن نفسه في الله عزوجل.

وهذا ما يسمى بمقام كمال الطاعة لأن الطاعة التي تكون إجبارية أو اختيارية هي طاعة ناقصة لم تكمل بعد، أو حتى التي تكون بالمحبة لأن في المحبة

نسبة إلى الذات قبل صفاء الإخلاص، أما الطاعة الكاملة والمكتملة بالله تعالى هي تصرف الله في عبده كيفما شاء وكما أراد، ويتنزل عليه بما شاء من تجل أو أمر أو حكمة، وقد يصير هذا العبد تصرفاً لله في كونه، فقد يتصرف الله به في الكون فيغير على يده ما شاء أن يمحو أو يثبت بإقراره عز وجل ما شاء أن يثبت، فلا يبقى في العبد شيء لنفسه ولا لغيره فيكتمل فناءه في الله عز وجل باكتمال طاعته وتكتمل الطاعة كذلك باكتمال الفناء.

علامات بلوغ المريد لهذا المقام

1/فحينها تجده يعلم أمر الله قبل تنزله على الخلق لأن أول تنزل يحدث، هو تنزل الأمر في ذاته وتلك من علامات بلوغ المريد إلى هذا المقام، ومن علامات ذلك أيضا:

2/ أن تجده طائعا مطبقا لأمر الله تعالى فيه قبل أن يطبقه في غيره، لأن أول تنزل حصل في ذاته، ثم يليه التنزل على الخلق، فأول طاعة يجب أن تحصل طاعته في ذاته، وطاعته في الخلق، وطاعته هنا ليست منسوبة إلى نفسه، بل أن الأمر يتنزل في ذاته تنزلين:

تنزل حكم، وتنزل طاعة، لأن المريد حينئذ يكون مسلوب نفسه، فانيا في الله متصلا به عارفا به.

3/ أن تجده مضمحل الإرادة فلا يأمر أحدا إلا بتنزل أمر الله الحاصل في ذاته أي إلا بأمر الله، وغير ذلك من ظنون أو أوهام يكون عنه قد انتفى، فيأمر بأمر الله وينهى بنهيه.

4/ أنه غائب في تجليات الإرادة والقدرة فلا يفيق من سكره إلا حين يتنزل الأمر عليه ليطاع في ذاته أولا ثم يطاع في الخلائق، فهذا ما يحصل في مجلس

الديوان كذلك، حيت إن الناس عامتهم يستعجبون كيف للعبد أن يتصرف في الكون؟ وأين هو تصرف الله عز وجل؟ أليس هو الأحق بذلك؟، فيكون ذلك هو الجواب لأن العبد إذا بلغ إلى هذا المقام يكون فقد تجرد من كل شيء حتى عبوديته وتجرد العبد من عبوديته إقرارها فإذا اقرها فقد تجرد منها وصار تصرف الله في الكون عن طريق عباده، وتلك سنة وهي أن يتخذ وسيلة ليس لعجزه على أن يتصرف مباشرة، ولكن تلك سنة الله ولا مبدل لسنته

وذلك أيضا رحمة بعباده المتصرِفين والمتصرَّف بهم، وهو صاحب الفضل الأكبر والأعظم، والحمد لله رب العالمين.

٧. مقامات الخدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين، لقد أنهينا باذن الله تعالى المقامات الأربعة الأولى من تسليم وإخلاص ومحبة وطاعة، وكل هذا يدخل في سياق تحقيق العبودية لله تعالى والارتقاء في مدارج القرب والمعرفة تحت سقف المقصود وهو وجه الله تعالى ورضاه.

قد حان الوقت لننتقل إلى المقام الخامس من هذه المقامات وهو مقام الخدمة الذي يقصد به نُصْرَة الله ورسوله وخدمة المنهج والدين والإنسانية جمعاء، وهذا من المقاصد الكبرى في السير إلى الله تعالى وهو تحقيق النفع والفائدة للخلق بشكل عام عن طريق خدمتهم ونصرة دين الله تعالى ونصرة الله عز وجل عن طريق نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وورثة نبيه رضي الله عنهم، قال الله تعالى: "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"[3] ، وهذه الخدمة تجعل قدم المريد يثبت في طريق الله تعالى وتقيه من الزيغ والانحراف وتنقله إلى مدارج عالية جدا في القرب من الله تعالى والاتصال به بل إن هذه الخدمة هي التي تثبت العبد وتؤيده بنصر الله "ألا إن نصر الله قريب". وهذا مقام في السير إلى الله تعالى حيث يجد العبد في نفسه ضعفا وهوانا على الخلق واستضعافا في الأرض وتنكر جميع الخلق له فيلجأ إلى الله تعالى وبإذنه لا يجد غيره فينصره وينصر نبيه وينصر منهجه فينصره الله تعالى ويؤيده ويثبت قدمه ويرقيه إلى مدارج أخرى..

وهذه الخدمة فيها أنواع متعددة ففيها خدمة للخلق وتنقسم إلى خدمة الإنسانية بشكل عام بتقديم النفع لها وما يجعلها تزدهر وتتقدم والقسم الثاني هو نصرة

[3]

المسلمين وردهم إلى طريق الله والى طريق رسول الله عن طريق نصرة ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنوع الثاني هو نصرة الله تعالى ونصرة الله تعالى تأتي عبر قسمين كذلك فالقسم الأول هو نصرة الله عن طريق نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكون في زمان دون زمان بل إن نصرته مستمرة إلى يومنا هذا، وما معنى نصرته؟ نصرته ليست نصرته لذاته لأنه منصور بالله عز وجل ولكن نصرته هي نصرة دعوة الحق التي أُنزلت عليه والقسم الثاني هي نصرة الله عن طريق نصرة أوليائه الصالحين وهم كذلك منصورين من الله عز وجل ونصرتهم وخدمتهم عن طريق خدمة منهجهم ودعوتهم التي هي منهج رسول الله ودعوته ومنهج الله ودعوته

1/ مقام خدمة الخلق بشكل عام :

حيث أن المريد يجب أن يكون غيثا رحمة من الله على عباده ويجب أن تتمثل فيه رحمة الله تعالى ورحمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتجده يسعى في خدمة الخلق وتقديم العون لهم والفائدة لهم وأعظم خدمة وأعظم شفقة على الخلق هي دعوتهم الى طريق الحق جل جلاله وارشادهم الى الطريق المستقيم لهذا كان واجبا فرضا على المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان واجبا عليه كذلك أن يرشد الخلق ويدلهم على الله عز وجل لأن أغلبهم قد ظل الطريق وزاغ عن النهج القويم وأخدته الدنيا ولعبت به نفسه وشهواته وسلك بهم الشيطان مسلكه والمريد في هذه المرحلة يكون قد وصل لدرجة من المعرفة لدرجة من البرهان لدرجة من ولاية الله عز وجل له فيكون واجبا عليه ارشاد الخلق الى الطريق المستقيم ودلهم على الله عز وجل ويعرفهم بطريق الحق لأن دعوة سيدنا محمد ودعوة الأمم السابقة كلها جاءت لتبين للناس الطريق المستقيم ودعوة سيدنا محمد جاءت خاتمة لتبين للناس طريق الله عز وجل ولكن الخلق في هذا

الزمان قد أضاعوا تلك الباب وظلوا عنها وأخذتهم شهوات أنفسهم فولو أرادوا النجاة يبحثون عن باب الله عز وجل فتفرق بهم السبل ولا يعرفون طريق الحق وطريق اليقين لهذا فمهمة المريد الأولى أن يبين للناس هذا الباب ولو قبل اكتمال تربيته وخروجه من تحت جناح شيخه عليه أن يدعوا الى منهج شيخه وأن يرشد الناس ويعرفهم بهذه الباب التي هي باب الله عز وجل النبنية على الصدق ةاليقين وليس على الظن والشك وغير ذلك فدلالة الناس والخلق أجمع على هذا الباب واجب يقع على عاتق المريد وتلك أعظم خدمة يؤديها للإنسانية وأي خدمة أعظم من أن يرشد العبد الى ربه فاذا أرشده ودله على الباب قد أدى له خدمة لا يرد جميلها ولا يقطع نعيمها وذلك لأنه دله على طريق النجات في الدنيا والاخرة ودله على طريق القرب من الله تعالى وعلى طريق عبودية الله تعالى وعلى طريق الحق القائم بنور الله وبنور رسوله الذي لا يخالطه ظلام ولا ضبابية فطريق الحق ظاهر للعيان ومعروف معرّف ليس غامضا ولا ملغوما كما هي طرق الظلال ومع ذلك فالخلق ينحازون لتلك الطرق فهذه أعظم خدمة يؤديها المريد للخلق وللانسانيه فتجده ينشر الرحمة بينهم ينشر النور بينهم اذا حدثهم أرشدهم واذا نصحهم سلّكهم واذا جمعهم نفعهم واذا تحدث اليه احد من الخلق يجد منفعة لا يجدها في غيره واذا جالسه أحد من الخلق استمد من أنواره التي تفيض من محبته لله ومحبة الله له فيبلغه نوره قبل أن يبلغه مقاله واذا بلغه مقاله أرشده الى الله ودله على الله وبين له ووضح له طريق الله عز وجل ودعوة شيخه وهذا واجب يقع على المريد قبل أن تكتمل تربيته وكذلك من خدمة الخلق الدعوة الى الإسلام مع غير المسلمين وتبليغ كلمة الله تعالى ونشر هذا الدين العظيم الذي جمع ووحد كل الديانات وهذا الدين ينشر بالنور ولا ينشر بالكلام لهذا فالمريد أحق بذلك من أصحاب الكلام لأنه تجده قد ورث نورا محمديا من قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أولى بهذه الدعوة من غيره وان لم تجده في دعوة الى الله تعالى

فانك تجد فيه تجليا لصفات سيدنا محمد وتجده مظهرا من مظاهر رحمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الكون فتجده اذا تحدث أفاد واذا استنصح، نصح تعامله لين وقلبه منشرح للخلق رحمة بهم وليس توجها لهم لأنه في مقام تجده غائب في انوار الله تعالى وتجلياته فيبدأ الله بنشر ذلك النور عن طريقه وذلك أمر الله عز وجل وتجده نورا في المجالس غياثا للخلق رحيما مشفقا على الإنسانية يدعوا لها بالخير ويعمل ليلا ونهارا ليرشدهم وينفعهم ويدعوهم الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والى الله تعالى فهذه من علامة تأهل المريد الى الوراثة، فان نجح وتخطى هذا المقام يبدأ في وراثة سر رسول الله وأول صفة تكون في وارث سر رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الرحمة والشفقة وحمل همه صلى الله عليه وسلم وهمه أمته وهمه انقاد الخلق من نار وقودها الناس والحجارة فاذا حمل المريد هذا الهم وهذه الخدمة للإنسانية جمعاء وقر نور رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلبه وبدأ سره يسري اليه تدريجيا اذا أذن الله تعالى له في ذلك ليصير بعد ذلك داعيا مأذونا يدعوا الى الله على بصيرة من أمره ويقظه ولا يبقى في هذا المقام الأول خدمة الخلق أي ارشادهم ودعوتهم الى طريق شيخه وهذا أول ما يؤهل المريد العارف الى المقامات الأخرى من الخدمة والدعوة الى الله تعالى فالدعوة في هذا المقام تكون بالنور المحمدي الى طريق شيخه وليست بالإذن بعد لأن الاذن لازال عند شيخه ولا يؤذن للمريد أن ينفصل عن شيخه ولو وصل الى هذه الدرجة لأن تربيته لم تكمل بعد ولا زال أمامه عدة مقامات عليه أن يجتازها ويترقى فيها حتى يصل الى الله عز وجل ويأتمنه الله على سره ويأمنه شيخه من الضياع او من الانحراف اومن الزيغ وغير ذلك حتى يختم على قلبه بخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالكمال والثبات حتى يلقى الله تعالى هو راض عنه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والحمد لله رب العالمين

2/ مقام خدمة دعوة الشيخ:

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين، ننتقل باذن الله تعالى الى المقام الثاني من مقامات الخدمة وهو مقام خدمة الدعوة حيث أن المريد يخدم في هذه المرحلة دعوة شيخه وذلك يدخل ضمن خدمته لشيخه وأعظم خدمة يخدم بها شيخه هي أن يخدم دعوته وينشرنها وينصرها فعلى المريد في هذه المرحلة

أولا أن ينشر دعوة شيخه بشكلها الصحيح ويقيها من التحريف أو من التزوير بفهمها الصحيح ونورانياتها الحقة التي ورثها عن شيخه، فيهدر وقته وماله ونفسه وزوجته وأبناءه وأسرته وكل ما عنده في سبيل دعوة شيخه وتوصيلها لأكبر عدد من الخلق ليستفيدوا كما استفاد هو منها اذ لو أنه لم تصله دعوة شيخه لما وصل الى هذا المقام فبهذا الفضل الكبير لشيخه عليه، عليه أن يرد بعضا منه ولا يمكنه أن يرد فضل شيخه ولكن على الأقل أن ينشر هذه الدعوة التي استفاد منها وحقق مقصوده وغايته على أوسع نطاق فيستفيد منها الخلق ويستقيم بها أمر دينهم ودنياهم حيث أن المريد يختبر في أمر خدمة دعوة شيخه قبل أن تسند اليه مهمة الدعوة الى الله تعالى بالإذن وهذه من اخر الاختبارات اذا لم نقل اخرها التي ييختبر فيها المريد قبل كماله

ثانيا على المريد أيضا أن يحمل حمولة محبة ورحمة ورغبة في انقاذ الخلق من الضياع والهلاك وردهم الى الطريق المستقيم ليستفيدوا كما استفاد، وكم ممن ييبحث عن هذا الطريق ولم يجد من يوصله اليه ومات قبل ذلك وكم منهم لازال يبحث ولم يجد بعد من يوصله الى هذا الطريق وكم ممن بحث ووجد طريقا ضالا فالتبعه وهو الان ضال الطريق ويظن أنه راشد وأنه على الطريق المستقيم وهو الان في أمس الحاجة الى التصحيح والتعريف بالطريق المستقيم

وكم منهم حار في معرفة طريق الله عز وجل في زمن كثرت فيه السبل الضالة وقلت فيه سبل الله تعالى وهذا الزمن كذلك كثر فيه الناشرين والمتبعين والمؤيدين لطرق الضلال لطرق الشر وقل فيها الدعاة الى طريق الله تعالى والى منهجه السوى المستقيم

ثالثا فعلى المريد أن يتحمل أمر دعوة شيخه بمحبة وإخلاص وينشرها على أوسع نطاق مضحيا بماله وجهده ووقته وغير ذلك فالخلق في أمس الحاجة الى طريق الله تعالى ولو ظهر لك غير ذلك ولو ظهر لك أنهم مستمتعين بطريق الشيطان يدافعون عنها فانهم في حقيقة الأمر منكسرين ضالين الطريق ويبحثون عن الطريق المستقيم ولكن لم يجدوا بلوغا ووصولا اليه وتلك مسؤوليتك أيها المريد الذي وصلت لهذا المقام وأذن لك الشيخ في الدعوة بالنور الى طريقه التي هي طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتي هي طريق الله تعالى

رابعا على المريد كذلك أن لا يغفل فضل الله ورحمته التي نزلت به فأرشدته الى الطريق المستقيم ودلته اليه وثبتته عليه حتى بلغ ما بلغ وما ذلك الا بفضل الله فتجد قلبه يشعر بامتنان كبير لله تعالى وهذا ما يخلق في النفسه الرغبة في التعريف بهذا الطريق في نشر هذا الطريق في دعوة الناس اليه

خامسا على المريد أن ستفرغ جهد ما استطاع من وقته ويخصصه للدعوة الى الله تعالى عن طريق الدعوة الى منهج شيخه لأنه في مقام قد بلغ مقصوده وصار عليه شكر شيخه وهذا من شكر شيخه وهو أن يبلغ دعوته ومهما بلغ ومهما أرشد ولو يأتي بالملاين الى طريق شيخه فانه يكون ما أدى حق شكر شيخه بعد لأن ذلك فضل كبير لا ينسبه عاقل الى نفسه فلولا نظرة شيخك اليك ودعوته لك لما بلغت الذي بلغته ولو ظللت كل حياتك تبحث عن الطريق المستقيم، فمن باب شكر الشيخ على تلك النعمة في هذا المقام هي نشر دعوته على أوسع نطاق بالاخلاص

والمحبة ويبقى ما بقي المريد قلبه ممتن لشيخه ولو بعد وفاته لأنه ما أدى حق شكره بعد وأن لشيخه فضل عظيم عليه لا يجازيه عليه الا الله تعالى ولا يعلمه الا الله تعالى لأن المريد ولو أحصى ما أحصى من فضل شيخه عليه ما أعدما لأنها من فضل الله المتنزل على الشيخ والفائض منه على المريد، وفضل الله لا حد له حصر له

وخلاصة في هذا المقام على المريد أن يفني وقته وجهده في تبليغ دعوة شيخه ويبدأ ذلك من المقربين كأسرته وعائلته وأصحابه ثم ينشرها خارج ذلك وعليه أن يحصر هم الدنيا على ذلك وأن يتعهد بعهد شيخه أن ما بقي له في الدنيا عليه أن يخصصه لإنقاذ الخلق من براثن النفس والشيطان وأن لا أحد يتحمل تلك المسؤولية الا من نجا لأن العالق في براثن النفس وكل الخلق عالق في ذلك لا يرى نفسه عالقا أو مأسورا أو مسجونا بل يرى أنه محمول وهو مرتاح ولكن الذي يرى ذلك هو الذي نجا من تلك البراثن وصار ينظر من الخارج فيرى النفس والشيطان يعضون على الخلق بأنيابهم ليمنعوهم من سلوك طريق الله تعالى ويشوشون عن مقصودهم ووجهتهم في الحياة ويوجهونهم الى الشهوات الى المال الى غير ذلك من الملذات الزائفة حتى يؤسرون بتلك الشهوات ويظنون أنها كل الغاية والمقصود من وجودهم في الدنيا حيث يسعون كل جهدهم في الحياة لادراك هذه الرغبات ويضلون ويغفلون عن ما بعد الدنيا لانهم قد حجبوا عنه وأسروا فاستحكمت فيهم النفس والشيطان ومن يخلصهم من ذلك ومن يعرف حالهم أصلا الا الذي نجا وسلم من نفسه وشهواته فلهذا تقع هذه المسؤولية الكبرى على عاتق المريد العارف وعليه أن يفيها حقها ويسعى ما سعى الى خدمة دعوة شيخه وهو بذلك يخدم منهج الله تعالى والله مبصر بعبده فهو يعينه وهو يثبته أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والحمد لله رب العالمين

3/ مقام الإخلاص في خدمة الشيخ ودعوته

ننتقل إلى المقام الثالث من مقامات الخدمة، وهو مقام الإخلاص في خدمة الشيخ ودعوته، لأنه كما ذكرنا في المقام السابق، يُكَلَّفُ المريد من طرف شيخه بمهمة الدعوة إلى شيخه فيبدأ المريد بنشر هذه الدعوة وتوضيحها وشرحها للناس، وهذه مرحلة خطيرة عند المريد حيث إنه قد يبتغي وجهة أخرى غير الدعوة إلى شيخه؛ كأن يبتغي أن يُظْهِر لشيخه أنه يؤدي مهمة عظيمة له وبذلك يستحق وراثة سره، أو قد تكون تلك الخدمة فقط من أجل أن يبرهن المريد أنه مؤهل ليَأْذَن له شيخه في الدعوة إلى الله.

ولكن لا ينال المريد هذا الإذن حتى يفنى عن طلبه، ويُخْلِصَ خدمته كاملة ابتغاء مرضات شيخه ويزيل جميع التعلقات والأسباب الأخرى من قلبه، وقد يعترضه عائق آخر مثل عائق حب إظهار كراماته أمام الناس، وهذا خطر كبير، ولكن المريد يستر هذا الخطر تحت أمر الدعوة إلى طريق شيخه فيعتقد أنه لا بد من هذه الكرامات التي تبرهن للناس صدق سر شيخه ودعوته وهذا عائق خطير جدا لهذا على المريد أن يخلص وجهته كاملة ويوجه قلبه وروحه ودعوته وجهده وخدمته كلها ابتغاء مرضات شيخه لا من أجل أي شيء أخر وحتى إذا خالطه شك أو وسوسة رجع الى شيخه فراجعه فيبرئه منها والإخلاص في الخدمة هو سر قبولها إذ لا تقبل الخدمة أن لم تكن مختومة بخاتم الإخلاص على قلب المريد لا يبتغي بها إلا وجه الله تعالى ورضا شيخه فإذا فنت كل التعلقات في نظر المريد وبقي شيخه وفنت آخر التعلقات كحب الرئاسة وحب امتلاك السر أو المشيخة والإذن في الدعوة وهذا آخر ما يخرج من قلب المريد

أولا: حب الرئاسة:

حيث تجده يحب التقدم على الناس وعلى بقية المريدين ويحب تصدر المجالس ونشر الدعوة ولكن اذا تصدر المجلس وغرضه وجه لله تعالى ونشر دعوة شيخه وكان مستحضرا نضر الله تعالى اليه وفانيا عن أي تغلق سواه طهر باطنه من من هذا المرض وطهر من أخر أمراضه

ثانيا: حب الوراثة وحب السر:

وهذا ما يقع فيه المريد كذلك إذا أذن له شيخه في الدعوة إليه أو أذن له في أمر معين فانه يريد أن يفني جهده ووقته وذلك ليأتي بالخدمة على اكمل وجه قصد ارضاء شيخه ليسلمه السر ويعطيه الاذن وهذا نخالف لنهج الصالحين ؤضي الله عنهم اذ انهم لا يطلبون غير مرضات الله تغالى عليهم ورضا مشايخهم كذلك ويعالج هذا المرض الشنيع في هذا المقام وذلك باخلاص الخدمة لله تعالى واستحضار نضره الى باطن المريد فهو عز وجل يرى مقصود المريد وان رأى مقصودا غيره فانه يغضب جل جلاله فاذا استحضر هذا المريد هذا المعنى صار في حذر أن يدخل الى باطنه ما لا يرضاه الله تعالى والمريد الان وصل الى أدق تفاصيل الادب في حضرة اللع عز وجل فاذا خرج من باطه هذين المرضين انتقل المريد من درجة المريدية الى درجة العرفانية وصار عارفا بالله عز وجل ساعة ما سلم من هذين المرضين الاخيرين اللذان يبقيان في نفس المريد ليزيغا به في اخر مسلك يسلكه وهو مسلك الخدمة فاذا اجتازهما صار المريد عارفا بالله تعالى همه ارضاء الله وبهذا يترقى الى مقامات اخرى من الخدمة وينتقل الى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقاماتها لثلاثة ثم ينتقل الى الخدمة الوتر وهي خدمة الله عالى وهو حينئذن بالغ لمقصوده أكمل طريقه وما بقى هو فضل الله عليه في أن يرقيه في درجات القرب والفناء وأن يحليه بالمشاهدة والنظر إليه كما شاء وكيفما شاء فإذا أخلص المريد

الخدمة لله عز وجل فقد كملت تربيته فينظر الشيخ في باطن مريده ليجده قد صفا من شوائب الخدمة و فيُثبت الشيخ ويعلم علم اليقين انه لو أعطى الإذن لمريده في الدعوة الى الله أنه لن ينحرف أو يزيغ لا في حب رئاسة ولا في حب ظهور ولا في حب تقدم ولا في حب إظهار كرامات أو إظهار خصوصية أو إظهار ميزة له على بقية الخلق فبهذا يرى الشيخ مريده وقد كملت صفات باطنه وقد سقيت بحضور الله تعالى وعلامة وصول المريد لهذه الدرجة ولهذا المقام الذي يخلص فيه أمره وخدمته لله تعالى ولا يبقى فيه سيء لنفسه هو أن يحضر المريد مع الله تعالى فلا يغيب عنه طرفة ولا نفسا ولا ثانية فتجده في كل حركاته وسكناته حاضرا مع الله عز وجل وهو في حالتين

إما في حالة استحضار وهي حالة مراقبة الله عز وجل له

أو في حالة تجل ومشاهدة ومكاشفة وتنزلات إلهية من الله عز وجل على باطنه

وهو لا يغفل عن هذين الحالتين ويكون بهذا قد حقق اكبر أهداف السير إلى الله تعالى الاربعة وهم الحضور الدائم مع الله وها قد حققه في هذا المقام و الشفقة على الخلق قد حققه في المقام الذي قبله والتعظيم لأمر الله تعالى والتعظيم لأمر رسوله صلى الله عليه عليه وسلم قد حققهما ولن سيستكمل هذين الهدفين في المقامات الآتية من خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ودعوته وسره وخدمة الله تعالى وهذا كمال يبلغه المريد بفضل الله عز وجل عليه ورحمة منه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والحمد لله رب العالمين.

4/مقام خدمة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ننتقل باذن الله تعالى الى المقام الرابع من مقامات الخدمة وهو مقام خدمة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أن العارف اذا وصل الى هذا المقام وجبت عليه خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمة أمره عن طريق خدمة شيخه الحي لأن خدمته خدمة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخدمة هنا هي خدمة ذاتية يخدم بها المريد شيخه، لأن ذاته من ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم وروحه فيض من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمة ذات شيخه هي خدمة لذات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مقام يجب على المريد فيه أن يخصص نفسه لخدمة شيخه وهذا قبل أن يؤذن له في الدعوة إلا الله تعالى بالإذن والانفصال عن شيخه فيبقى خادما لأمر رسول الله وهو شيخه مطيعا له تحت أقدامه خاضعا له لا يخالفه ولو أنه وصل الى درجة الولاية ومقام العرفانية ولكن احترام شيخه يجب أن لا يزول من قلبه وكذا محبته وتعظيمه وأن لا يجترئ على مقام شيخه فيظن أنه بلغ ذلك المقام حيث يستحيل على المريد بلوغ مقام شيخه مهما بلغ لأن شيخه باب دخل منها فوصل إلى الله عز وجل وتلك الباب وسعته للدخول فهو لا يصل لوُسْعِها مهما وصل، وعليه أن يبقى خادما تحت أقدام شيخه مرافقا له يلبي كل طلباته حتى يؤذن له في خدمة دعوة سيدنا محمد وإلا يبقى كذلك حتى يلقى الله تعالى وهو راض عنه، ولخدمة أمر رسول الله آداب معينة من أهمها:

1/ **أن يَخْدِم المريد شيخَه على أنه يخدم أمر رسول الله** صلى الله عليه وسلم، ويكون مستحضرا لهذه الخدمة بهذه النية وهذا القصد دون أن يظن أنه لم يعد محتاجا لشيخه فهو لازال محتاجا له مادام شيخه لم يأذن له بعد.

2/ **أن لا يرى نفسه في خدمة شيخه على أنه يؤدي له خدمة يُجْزَى عليها بل يرى أن ذلك حق واجب من شيخه عليه**، وهو مهما خدم فإنه لن يؤدي حق شكر شيخه الذي أوصله لهذا الفضل وهذا السر العظيم. فمهما خدم المريد شيخه وسهر على راحته وأفنى بقية عمره في خدمة شيخه فإنه لا يؤدي حق شكره بعد، وكيف يؤدي حق شكر من أوصله لله تعالى؟ وهل للوصول إلى الله ثمن؟ لا لاثمن لذلك إنما هو فضل يختص الله به من يريد من عباده عن طريق إرسال بعض عباده لبعض خلقه، أما إن ادعى أنه جازى شيخه عن فضله بإفناء عمره في خدمته فإنه قد ادعى مجازاة فضل الله تعالى وهذا مالا يقبل منه.

3/ **أن يُطِيعَ المُريد شيخَه فيما أَمَرَه ويَنْتَهي عَمَّا نَهَاه** دون أن يشغل أمره في ذلك إن كان يوافقه أو لا يوافقه، أو يصلح له أو لا يصلح، بل يخدم على أن الأمر الأول والأخير هو خدمة شيخه. فيفني نفسه في ذلك حتى يلقى الله عز وجل وهو راض عنه.

4/ **أن لا يخلو قلب المريد في تلك الخدمة من الامتنان العظيم لشيخه والمحبة الكبيرة له** الذي اختصه بعناية منه فأوصله إلى الله عز وجل، ولا ينكر فضله بل أن يعترف له بالجميل أمام كل الخلق، فلولا شيخه لما وصل إلى الله تعالى، وهنا ليس إغفالا لفضل الله تعالى عليه، ولكن فضل الله تجسد في ذلك الشيخ المرشد الذي أرسله الله إليه، ففي الحقيقة فضل الله المتجه إلى عبده هو جمعه بشيخ عارف يوصله إليه.

5/ **أن لا يطلب منه الإذن في الدعوة إلى الله ولا في الانفصال عنه**، بل أن يبقى خادما تحت قدمه سواء أعطاه الإذن بعد ذلك أو لم يعطه، فهو يرى مصلحة المريد أين تكمل.

و أخيرا على المريد أن يشكر فضل الله تعالى بشكره شيخه، وفضل شكر الشيخ لا يدرك ولكن من باب ذلك الشكر أن يخدم المريد شيخه حتى يأذن له شيخه أو لا يأذن له. فالخدمة تكون بالتوقير والمحبة والأدب، فخدمة المريد شيخه خدمة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ما يرقي المريد إلى مقامات أخرى من فضل الله تعالى، وقد لا يترقى وفي ذلك ترقية له أيضا ففضل الله لا يحد في عطاء معين لكن فضل الله لاحدود له، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والحمد لله رب العالمين.

5/ مقام خدمة دعوته صلى الله عليه وسلم:

وفي هذا المقام يُؤْذَنُ للمريد بالدعوة إلى الله تعالى وإرشاد الخلق، ويُؤْذَن له كذلك بالانفصال عن شيخه؛ إذا وصل المريد لهذا المقام فإنه يُكَلَّف بأمر ثقيل وهو الدعوة إلى الله تعالى، وما أصعب ما يواجهه فيها من مصائب واعتراض الناس عليه، وتنكر الناس له، وإصابته في ماله وعرضه، وغير ذلك... مما يُصِيب الداعي إلى الحق عزوجل على بصيرة من أمره، ولا بد أن يصيبه هذا ولكن وجب أن يكون الصبر حليفه والإيمان يقينه، والنصر آت ولو بعد حين.. ولكن العارف يُخْتَبِرُ قبل أن يُنْصَرَ اختبارات شديدة تُبَيِّن صِدْقَهُ في أمر الدعوة وثباته عليها، ومن ذلك:

1/ تَنَكُّرَ كل الخلق له، فلا يسانده أحد ولا يمد له يد العون في أمر الدعوة ولنشر المنهج أحد. فيظل وحده يسعى لذلك وهو طالب النصر من الله عز وجل بإكثار المدد والعدد، ولكن لا يأتيه النصر في بداية أمره حتى يُخْتَبَر ويُبْتَلَى بشيء من الضعف ونقص في الأموال والأنفس والثمرات، ويَعْرِف مرارة الدعوة إلى الله تعالى وكل ذلك خدمة لدعوته صلى الله عليه وسلم ، وغالبا ما يدوم عليه هذا الحال ثلاث سنوات حتى عشر سنوات وذلك اقتداءً بسنته، وهذا برهان على أن منهجه منهج صدق ومنهج حق ومنهج اتصال، أما إذا كانت أرضيته ممهدة من

البداية فذلك لا يبين أن المنهج فيه شيء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكون ما عنده على حالتين:

- إما أنه يحيي منهج أجداده المشايخ الذين مهدوا الأرض لذلك، وهم من تحملوا العناء ومرارة الدعوة.
- وإما أن يكون منهجه منهج كذب وزور ، وذلك عقابه شديد عند الله تعالى لأن كل من اتبعه من الخلق وسلمه روحه يأخذها بلا إرادة منه إلى الضرر والهلاك، إن لم يكن ذا إذن محمدي وبصيرة مفتوحة على شهود الحق جل جلاله، فإنه لا شك يَهْلَك ويُضلُّ من اتبعه من المريدين، وما أشد عقابه، فعقابه يكون مضاعفا لأنه لم يكتف بإهلاك نفسه فحسب، بل هلك غيره، وذلك أمر عظيم عند الله عز وجل أن يتولى أمر قوم لا يقدر على إرشادهم، أما الذي يدعو إلى الله على بصيرة من أمره وإذن فإنه ولا شك يواجه مصاعبا عديدة في ذلك.

2/ **قِلَّةُ عدد المتبعين وضعفهم وهوانهم على الخلق:** وهذه من السُّنَة أيضا، لأن العارف في بداية أمره لا يتبعه إلا عدد قليل لا يجاوز العشرة أو العشرين، وتجدهم من أضعف الخلق ومن سفهاء الناس ليس لهم سلطة ولا مال ولا قوة، فلا ينصرون منهجه، ولا يَنْشُرُونَه.

3/ **تكذيب الناس وإعراضهم عنه:** حيث إن العارف الحقيقي الذي ينشر منهج الله تعالى لاشك ولابد أن يعترض عليه أغلب الناس وأن يُنَكِّروا عليه، وأن يتهموه في ماله وعرضه وغير ذلك بالكثير من الاتهامات التي ترقي مقامه عند الله تعالى، وهي من السنة النبوية كذلك، فرسول الله اتُّهِمَ بالشاعرية، وبالسحر

والجنون فكيف لغيره أن يَسْلَمَ من هذا الاتهام، بل إنه يؤكد صدق ولايته وصدق معرفته، وصدق منهجه.

4/ **أن يَهُون عند الخلق ويَذِلَّ في أعينهم وهو عند الله عزيز**: فلا ينظرون إليه إلا نظرة كَذَّاب ضَالٍّ خارجٍ عن الطريق، أو ينظرون إليه نظرة حسد فيريدون أن يَكْسِرُوا ما أراد بناءه من منهج في السير إلى الله تعالى والوصول إليه، وكل هذا نُصْرَة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو في غير زمانه.

وفي الحقيقة، ليس هذه كلها ابتلاءات تحدث للعارف حين يبدأ أمر الدعوة وإنما هي كرم وفضل من الله عز وجل لأنه يعيش سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرًا كما لو أنه كان معه بذاته في وقته وزمانه، وهذا فضل كبير لا يُؤَدَّى جزاؤه ولا حق شكره، ولكن الله كما نَصَرَ دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم سَيَنْصُر دعوته، وهذا وَعْدٌ ويَقِينٌ يكون عِنْدَهُ من شيخه، أو من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو من الله مباشرة قبل أن يبدأ أمر الدعوة إلى الله تعالى، ويَظَلُّ متمسكا بأمر الدعوة إلى الله تعالى والنصر سيأتيه ولو بعد حين، لأن النصر لا يُؤْتَى في البداية، وهذه سُنَّة الله في كونه، وهذه علامة الولاية وعلامة الحقيقة، كما قال عز وجل: "**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**"[4] ، فتجد أتباعه وغيرهم من الناس لا يعلمون أن نصر الله آت ولو بعد حين، ولكن تجده هو عالما بذلك ومُتَيَقِّنًا منه، فيعيش سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويَنْصُرُ بذلك دَعْوَتَهُ ويَنْشُرُهَا إذا مُكِّنَ له في الأرض، وسَيُمَكَّن له بلا نقاش بإذن الله تعالى.

---

[4] ـ سورة البقرة، الآية: 214

فحتى إذا مُكِّنَ له عَلَا مَنْهَجُهُ في الأرض عُلُوًّا شديدا وكُتِبَ له الخلود، ولا يحصل له هذا غالبًا إلا بعد موت صاحب المنهج، وقليلا ما يحصل في حياته. ولكن علامات ذلك لابد أن تظهر في حياته حتى تَقِرَّ نَفْسُهُ ويَطْمَئِنَّ ويتأكد من أنه بَلَّغ دعوة الله تعالى، ونصر دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمها أحسن وأفضل خدمة، وذلك بفضل الله عز وجل عليه، والله ينصره ولو كره الكافرون،"**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**"[5] فإن نوره يُتَمَّمُ له في الحياة بنشر الدعوة وفق السنة النبوية، وهذا ما يُبَيِّن صِدْقَ الدَّعْوة وأنها حديثة العهد برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقريبة منه، ويُكَمَّلُ له نوره بعد الوفاة وفي البرزخ بانتشار دعوته ودخول الآلاف بل الملايين على يديه إلى المنهج وإلى الإسلام وإلى طريق الله عز وجل، ولا شك أنه يُخَلِّفَ قبل ذلك أصحاب الإذن في الدعوة الذين يُكْمِلُون طريقه ويحْمِلُون هذا النور الذي يورث قلبا عن قلب من قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبقى على الأرض لا يفنى حتى تفنى الأرض ومن عليها، وآخر ما يُرْفَعُ من الأرض يوم القيامة هو نور رسول الله صلى الله عليه وسلم الموروث في قلوب الصالحين، ولا يرفع إلا ليجمع كل من دخل في هذه السلسلة على حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنات النعيم، وذلك فضل الله والله ذو الفضل العظيم، والحمد لله رب العالمين.

[5]ـ سورة التوبة، الآية: 32

6/ مقام خدمة سر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

المقام السادس من مقامات الخدمة هو مقام خدمة سره، حيث إن العارف إذا أُذِنَ له بالدعوة وكلف بها، والدعوة المحمدية لا تتم إلا بنور موروث وسر مثبوت، فإن سِرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتقل ذاتيا إليه، فيقوم بالدعوة لأن الذي يقوم بالدعوة حقيقة هو باطن رسول الله وسره صلى الله عليه وسلم وليس العارف، ولكنه هو فقط مرآة لتجلي ذلك السر المحمدي والنور الأحمدي، وبوراثة هذا السِّر صار لزاما عليه أن يصونه ويحفظه وينفع الناس به، وهكذا تتم خدمة سر رسول الله:

1/ أن يصونه ويحفظه: فأما أن يصونه ويحفظه هو أن يكتم تجليات ذلك السر التي تحدث في باطنه، ويحفظها من أن تُتَرْجَم كلاما على لسانه لأنها إن خرجت كلاما فَسَتُهْلِك الخلق ولن تنفعهم، وبهذا يتنافى فعله مع خدمة السر.

2/ أن ينفع الناس به: ومن خدمة السر نفع الناس به وليس إضرارهم، والسر في كل ثانية يكون في تجلي من تجليات الأسماء أو تنزلات الحق جل جلاله، والعارف يجب أن يكون مُدَارِيًا لتنزلات هذا السر، مطيقا له قبل أن يرثه، أما إن ورثه قبل ذلك فإنه لا يطيقه ويُغْلَب بتجلياته في ذاته، فيُصَرِّحُ بتلك التجليات بلسانه فيضر الناس ويضر نفسه، لأن ذلك سر الله عز وجل المُتَنزل في قلب نبيه، وسر الله أحق أن يصان من باقي الأسرار.

بهذا لا يرث العارفُ السِّرَّ حتى تفنى ذاته عن ذاتها بحيث لا يبق بقوته ولا بقدرته، فكيف بقوته وقدرته أن يحملا سر الله عز وجل؟، حتى إذا فَنِيَ عنها وَتَوَجَّه إلى صفات الله عز وجل فاستمد القوة والقدرة منه، فانمحت ذاته في تجليات الله عز وجل، فتصيرُ ذاتَه مرآةً شفافةً لتجلياته سبحانه وتعالى، وبالتالي

إذا حمل السر لا يُغْلَبُ به، وإنما يَسْطَع ذلك السر في مرآة ذاته، وتلك المرآة متوجهة لصفات الله عز وجل فينعكس السر بذاته على أصله وهي ذات الله عز وجل، ومن ثمة، يُحْمَل ذاك السر باتصاله بذات الله عز وجل، وهذه أيسر وسيلة لكي يطيق العارف السر ولا يُغْلَبَ به.

وهذه من خدمة السر كذلك أن يُوَجِّهَه ويُعِيدَه إلى أصله، وتبقى ذاته مرآة شفافة إذا سطع فيها تجل من تجليات الله عز وجل حَوَّلَه و وَجَّهَهُ إلى العالمين لِيَنْفَعَهُم بذلك السر، وبالتالي يحقق خدمته ويَصُونُه و لا يَبُوح به ولا يُفْشِيه.

والميزان الثاني في تحويل تنزلات السر إلى الخلق لنفعهم هو: إمداد كل واحد منهم بما يطيق، وإلا فتجليات سر الله جُمْلَة لا يطيقها إلا من صارت ذاته مرآة لذلك التجلي وروحه فانية لا مكان لها في الذات، وإنما مكانها في حضرة القرب حتى تفنى وتذوب وتصير جزء من ذلك السر.

وإذا تنزل السر على الذات، والروح لازالت بداخلها لاحترقت الروح وذابت، ولكن لتتأهل عليها أن تفنى تدريجيا وتذوب في السر فتصير هي السر ،والسر يحمل السر. وهي من تُغَلِّف طينية الذات لتتحول إلى مرآة يعكس تَجَلِّيَه على الخلق فيُمِدَّ كلا بما يستطيع وما يطيق من ذلك السر.

وتجليات السر لا تعد ولا تحصى وأكبر تَجَلِّيَيْن من تجلياته التي يطيقها العبد هما:

أ/ **تجلي المشاهدة** حيث إن العبد يشاهد تنزلات الله عز وجل الحقيقية عليه، ويشاهد أنوارا منبثقة من سر ذاته، وهذا على ما يطيقه عباد الله.

ب/ **تجلي الخطاب أو الكلام مع الله عز وجل**: عن طريق السمع، وعن طريق الحديث بلا كلام، والسمع بالله عز وجل، وكل الأسرار بعدها تنبثق من

هذين التجليين، ومنها: أسرار الملك، و أسرار الملكوت، و أسرار الجن، وأسرار السلطان، وأسرار التحكم في بعض الأشياء من عالم الملك، وأسرار المشاهدة، وأسرار المعراج، وكل ذلك ينبثق من تجليات هذا السر... وتجلياته الكبرى هي المشاهدة والخطاب كما ذكرنا.

وكل من اتصل بذات السر ـ أي بوارثه ـ لأنه في كل زمان هناك ذات تحمل السر ؛ وهي ليست إلا ذات واحدة من ذوات العارفين، وكل من اتصل بها صار السِّرُّ يفيض عليه بما يطيق حتى يتأهل إلى الفيض الأكبر والأعظم، وهو مشاهدة تجليات الله عز وجل وسماع خطابه، وذاك فضل عظيم لا يصله إلا من ارتضاه الله لذلك المقام، ويبقى الوارث حافظا للسر خادما له ينفع الخلق به، وكُلَّ من اتصل به يُمِدُّه بما يطيق، حتى يؤهل غيره في آخر حياته ليتحمل سر رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعْدَه، وتلك أعظم خدمة يُقَدِّمُها للسر وأصعب خدمة تقع على وارثه وهي أن يُؤَهِّل غيره لوراثة ذلك السر، رغم أنه في علم الله تعالى موروث ذاتا عن ذات حتى يرث الأرض ومن عليها، ولكنه يترك بعض المسؤولية لعبده فضلا منه ورحمة، وفي ذلك شكر لله تعالى وإن كان لا أحد يؤدي حق شكره ولا حق شكر ذلك السر، حتى إذا جاءت ساعةُ انتقال وارث السر إلى جناب الله عز وجل يكون قد تَأَهَّل غَيْرُه لوراثة ذلك السر ، وهو مرآة فانية في ذات الله عز وجل، فينتقل السر ويُسْحَب من ذات وارثه الأول حتى تتأهل تلك الذات لمغادرة الكون، وإلا لو بَقِي فيها فإنها ليست تموت ولا تفنى أبدا حتى لو عاشت ملايير السنوات حتى يوم القيامة، تبقى الذات كما هي، ولكن روح ذلك العارف التي هي سر فان في السر حامل له، تنتقل سرا إلى الله تعالى بعد انتقال السر إلى ذات الله ـ وهو من ذات الله و لا ينفصل عن ذاته ـ ، ولكن سَاطِعٌ في ذات ذاك العارف فيتحول سطوعه إلى ذات غيره والتي صارت مرآة فانية، حتى إذا تجلى عليها ذلك السر انتابها خطب عظيم وفنيت آخر ذرة من البشرية بقيت فيها.

ولكن العارف الوارث للسر ـ الذي قبله ـ ينتقل مع ذلك السر إلى الله عز وجل ويُحَوَّل ذلك السر إلى الأرض من جديد، وذات ذلك العارف الذي تحمل السر أولا تفنى في الله ويعود لأصله، وقد أدى الأمانة وخدم السر وحفظه فيبقى فانيا في الله عز وجل كما شاء وكيفما شاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، والحمد لله رب العالمين .

7/ مقام خدمة الله عز وجل:

المقام السابع والأخير من مقامات الخدمة وهو مقام خدمة الله عز وجل الوتر حيث إن العارف بالله تعالى إذا صار وارثا للسر وحفظه وأدى أمانة خدمته فإنه ينتقل إلى خدمة الله عز وجل ولا أحد يطيق خدمة الله ولكن خدمة الله في ذلك المقام هو خدمة عباده، فيتوجه العارف بتوجهه إلى الله عز وجل وينقذ من كا على باب الهلاك من عباد الله ويردهم إليه بذلك السر، وهذا مقام ليس كالمقام الذي قبله في الدعوة، ومقامات الدعوة كثيرة، وأعلى مقام فيها هو هذا المقام أي خدمة الله عز وجل بخدمة عباده، وما من عمل أحب إلى الله عز وجل من إنقاذ خلقه وردهم إليه، وهذا الخدمة لا يطيقها العارف بذاته ولكن يكون مؤيدا بسر الله عز وجل الذي يؤدي تلك الخدمة في ذاته فهو من يوصل العباد إلى الله وهذه الخدمة الان ليس الدعوة والإرشاد فحسب وإنما توصيل المريد إلى ربه، وإن أول مريد يصل إلى الله بواسطة ذاك السر فإن الله يفرح فرحا شديدا به وبوارث ذاك السر الذي أوصله إلى الله وهذخه أسمى خدمة يقوم بها العارف في الوجود فالدعوة إلى شريعة الله قد لا يتعدى الجوارح ولا تفتح له حتى أبواب السموات الأولى، والدعوة إلى الاستقامة وترك المعاصي فإنه لا يتعدى زمنا معينا ثم يعود كما كان وهذا المقام لا يوصل إلى الله لأن المعصية واجبة في حق العبد، فمهما ولا يمكن لهذا أن يكون هذا هو اصل الوجود وهو سر الوصول غلى الله ، وأغلب من يدعي أنه على برهان من ربه، أسمى ما يمكن أن يقوم به هو دلالة الناس على الطاعة ونهيهم عن المعصية، فإن اتبعوه فإنهم لا شك سيأتي وقت يعصون الله وبالتالي فإنه لم يوصلهم ولم يربطهم بالله عز وجل وإنما تركهم في دوامة المعاصي.. في مقامات السير إلى الله تعالى، ولكنها تكون واجبة على المريد القيام بها في المقامات الأولى من الخدمة لكنه إن وصل إلى المقام الأخير ويضعه

بين يدي الله عز وجل حتى يجد نفسه وصل إلى الله، وهذا لا يطيقه العارف وإنما يتصرف فيه سر الله الذي خدمه واستقر في ذاته باتصاله بذات الله عز وجل، وتصرف هذا السر في الكون هو إيصال العبد إلى ربه و، وخدمة الله تكون بإيصال العباد إلى الله عز وجل وليس كل عبد مؤهل لذلك فالقليل من يتأهل لذلك الفضل العظيم، وفي هذا المقام جب على العارف أمرين: أولها: أن يسرع ويبادر في خدمة الله عز وجل بإيصال أكبر عدد إليه سبحانه لأن السر لن يبقى في ذاته طويلا وكلما أوصل عبدا زادت مشاهدته لله وضوحا وصفاء وتجليا، والأمر الثاني هو أن يخصص كل حياته لأجل هذه الخدمة ولا يلفته ولا يشغله شاغل ولا يمضي ثاية في حياته إلا ومقصوده هذه الخدمة وهو يعمل عليها من الصباح غلى المساء لا يصرفه عنها شغلا من الشواغل حتى يؤدي مهمته في الكون فلا مكان للراحة عنده في الكون ولكن الراحة الحقيقية والفوز العظيم عندما يرجع السر إلى بارئه وفي كل واحد يوصله يترقى ملايير ملايير السنوات في مشاهدة الله حتى إذا وصل ووضع عنه السر وعاد إلى أصله وفنا في الله فذاك المقصود وأما غير ذلك فإنه وهم حتى يكمل مهمته في الكون وإن كانت خدمة شخص عظيم المقام يفني فيها حياته، ويؤديها على أكمل وجه فكيف بخدمة الله عز وجل وهي الأحق أن لا يلتفت عنها حتى يلاقي الله عز وجل ومهما بقي السر في ذاته فإنه يظل مثقلا ولكن ليس ثقل عبء ولكنها ثقل رحمة ومسؤولية يبقى منها على وجل، ويحاول اما استطاع أداء خدمته على أكمل وجه، وكلما أسرع أكثر زاد السر إمدادا وفيضا على مريديه وفوزه العظيم وراحته عندما يطرح عباد الله بين يديه وقد أوصلهم غليه، وأ وقد أدى حق خدمته وصيانته ليتصل بأصله ويفنى بقصده، وذلك القصد والمطلوب، والحمد لله رب العالمين.

VI. مقامات الفناء:

ننتقل إلى المقام السادس من مقامات الصديقين وهو مقام الفناء نوعان، فهناك فناء الوسيلة وفناء المقصود، وينقسم إلى ثلاثة أقسام،فالفناء بأقسامه الثلاثة الأولى فناء في الشيخ، وفناء في رسول الله في مقاماته الثلاثة الثانية، وفناء في الله عز وجل في المقام الأخير من الفناء، ونستطيع أن نقول أن المستويات الثلاثة من الفناء في الشيخ هي فناء وسيلة، و أما فناء مقصود أو فناء غاية هو الفناء في رسول الله وفي الله تعالى .

ولا يمكن للمريد بلوغ المقصود والغاية دون وسيلة؛ إذ لا بد له من المرور من الفناء الأول وهو الفناء في شيخه، حتى ينتقل لمقصوده وهو معرفة رسول الله والفناء فيه، ومعرفة الله تعالى والفناء فيه، وهذا الفناء هو انمحاء للمريد كلية في الحضرة فلا يبقى له وجود ولا رغبة ولا نظر ولا سمع، ولكن يصير نظره من الحضرة وكذلك سمعه، والتفاته يكون في الحضرة وإلى الحضرة، والحضرة ثلاثة أصناف، حضرة شيخه، وحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحضرة الله تعالى.

والفناء لا يقصد به الاندماج أو الاتحاد أو ذوبان شيء في شيء، كما يقول البعض، ولكن يقصد به اللاوجودية ومعنى هذه الكلمة هي رجوع الشيء لأصله فيبقى بلا وجود ونمثللذلك: ببحر مليء بالماء، فإذا أخذنا بعض ماءه ووضعناه في قنينة خارجه وهذه القنينة هي الذات، صار له وجود له حيث أن المحيط في جهة والقنينة بذاتها وماءها هي المريد، وفناءه ليس بأن تندمج صفاته مع صفات البحر ، ولكن فناءه أن يتجاوز جسد القنينة، وهذا ما يسمى بالوسيلة أو المرحلة الأولى من الفناء، فإذا أراد ماء القنينةـ أي ماء المريد العودة إلى بحر الله تعالى ـ وجب

عليه أن يتخطى ذات القنينة، والتي لا يتخطاها إلا بالفناء في ذات شيخه، لأن ذات شيخه موصولة بالبحر.

والسؤال هنا: لماذا لا يفنى المريد في الله مباشرة أو في سيدنا محمد؟،

لأن ذاته تمنعه من ذلك، ولكي ينتقل إلى الفناء في سيدنا محمد الذي هو روح به يُوصَلُ إلى الفناء في الله تعالى كما أراد، عليه أولا أن يتخطى حاجب الذات، وليتخطى ذلك عليه أن تفنى الذات في الذات، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمن بذاتهبذاته فأمكن للصحابة الفناء مباشرة فيه، ولكنه الآن ليس بذاته ولا يمكن للمريد العبور إلى المحيط إلا بالفناء في ذات غيره، وهذه الذات ليست أي ذات بل يجب أن تكون متصلة بالبحر، ونشبه ذات الشيخ كذلك بأنبوب من فم القنينة مفتوح عبر جهتين يصب في البحر هذه ذاته، أما روحه ففانية في الله تعالى.

إذن، أول ما على المريد فعله هو أن يَفْنَى عن ذاته في ذات شيخه، وهو ما يؤدي إلى خروج الماء من القنينة، والفناء يحتاج إلىفَانٍ وفَانٍ فيه، والفاني فيه هو ذات شيخه الممثلة بالأنبوب،وبالتالي يدخل ماء المريد إلى الأنبوب، فهذا فناء الوسيلة،ثم يسري في ذلك الأنبوب حتى يصل إلى البحر، وإذا وصل إلى البحر هل نقول:امتزج البحر بالبحر؟ أو نقول:اختلط الزيت بالماء؟، لا ليس كذلك، هو منه وعائد إليه.

إذن ليس للمريد وجود في المحيط، إنما هو المحيط لا يزيد فيه شيء ولا يَنْقُص، وهذا تمثيل وتشبيه مُبَسَّط يُفَسِّر الفرق بين فناء الوسيلة وفناء المقصود، والحمد لله رب العالمين.

1/ المقام الأول: فناء المريد في ذات شيخه:

المقام الأول من الفناء، وهو فناء المريد في ذات شيخه،و كما ذكرنا من قبل، لا بد للذات أن تفنى في الذات حتى تتمكن الروح من العبور من الذات المأسورة إلى الذات الموصولة إلى الحقيقة المَثْبُوتَة. وفناء المريد في ذات شيخه هو بداية فناء ذاتي ظاهري ملموس ينحصر ضمن نطاق الظاهري قبل أن تنعكس تجلياته على الباطن.

وهذا الفناء أربعة أصناف ومستويات:

مستويات فناء المريد في ذات شيخه:

1/ **المستوى الأول: إفناء المريد مَقْصُوَده في مَقْصِد شيخه**، حيث إن المريد ينفي عن عقله و نفسه الشهوانية تفرع المقاصد من بلوغ إلى السلطة، أو ترق في المقامات، أو طلب للعزة، ويفني كل ذلك في قصد شيخه؛ فلا يطلب غير شيخه ولا يقصد غير شيخه، وقد قلنا أن مقصود شيخه هو الله عز وجل.

وليتمكن المريد من الوصول على هذا يجب أن يمر من مرحلتين كذلك، مرحلة وسيلة ومرحلة قصد:

- المرحلة الأولى أن يفني مقصوده على شيخه فلا يطلب ولا يرى غير شيخه، ولا يسمع غير كلام شيخه فيُفْنِي كل مقصد عنده في شيخه ويكتفي به عما سواه، وبهذه المرحلة ـ التي تسمى مرحلة الوسيلة ـ يصل المريد إلى مرحلة القصد.
- المرحلة الثانية:وهي فناءه في قصد شيخه، ومقصد شيخه هو الله عز وجل، وبعد ذلك يتحولكل مقصوده من قصد شيخه إلى الله عز وجل.

وخلاصة هذا الفناء هو أن لا يطلب المريد غير الله عز وجل، ولكن لا بد من الوسيلة في ذلك، وبالتالي أن لا يطلب غير شيخه.

والمستوى الثاني هو أن يَقْصِرَ المريد طلبه في السير الى الله على طلب شيخه، فلا يُكْثِر من الطلبات ويبتغي الوصول إلى مقام كذا أو منزلة كذا من تجليات أو كشوفات أو خطابات أو تنزلات، بل أن يكون كل مَطْلُوبه رؤية شيخه ومجالسته ظاهرا وباطنا، على أنلا يزيغ في مشاهداته إلى عوالم أخرى، فَيَعْلَقَ فيها قلبه لتصير له مطلبا غير شيخه.والخلاصة أن لا يطلب شيئا من السير الى الله من كشوفات وكرامات وغيرها غير شيخه، فيكون بذلك لا يطلب إلا الله عز وجل.

والمستوى الثالث هو أن يُفْنِيَ المريد مصلحته في مصلحة شيخه، فلا يعتقد أن شيئا قد ينفعه في الكون كله بقدر ما ينفعه شيخه، فإن اعتقد المنفعة في غيره فقد ضل سواء السبيل، وأما إذا قَصَرَ المنفعة التي تأتيه على أنها من شيخه ألغى العالمين من نظره، ولماذا نتوجه إلى الخلق إلا لأننا نبتغي منهم منفعة فإذا تواصلنا مع أحد أو أحببناه فمن أجل المنفعة، حتى الحب بين الخلق لا يكون خالصا إنما تكون وراءه المنفعة، فإن أَقْصَى المريد أي منفعة واقتصر على شيخه ونظر إليه وتوجه إليه، وبهذا يترقى في فناءه في ذات شيخه، والفناء فيها هو الاقتصار والانحصار عليها بين كل العالمين، ثم الاقتصار والانحصار عليها حتى على ذات المريد فَيُقْصِي ذاته كما أقصى العالمين من قبل، وهذا بشكل عام معنى الفناء في ذات الشيخ.

والمستوى الرابع، هو إفناء ذات المريد في ذات شيخه: فهو المقصود وهو مقام كذلك من مقامات تحقيق المقصود؛ وذلك أن لا ينظر المريد إلى حضور ذاته في حضور ذات شيخه، فإذا حضرت ذات شيخه غابت ذاته، وإذا غابت ذات شيخه تحضر ذاته، وهذا مستوى من المستويات حتى إذا بلغ إلى مستوى الفناء في

روح شيخه يحضر معه شيخه فلا يغيب، ومن ثمة تغيب ذات المريد فلا تحضر حتى تنتفي ولا تحضر، ثم تموت تدريجيا و تموت نهائيا بعد ذلك،والمقصود هنا بالذات هي أناة الذات واستقلاليتها وليس الذات في حد ذاتها.

حتى إذا حقق المريد هذه المستويات الأربع فنت ذاته في ذات شيخه فصار إذا حضر مجلسا يحضره شيخه لا يرى فيه غير ذات شيخه، ولو التفت ببصره لا يرى غيره، ولو نظر إلى نفسه لم يجد ذاته في مجلس الشيخ حتى يغيب في حضور ذاته، وإذا بلغ هذا المقام وثبت عليه ورسخ فيه انتقل إلى المقام الثاني وهو الفناء في روح الشيخ وباطنه، وهو ما سنتطرق له بإذن الله تعالى في المقام الموالي.

فإذا بلغ المريد هذا المقام وأتمه يكون قد فتح قنينته وخرج منها إلى أنبوب شيخه، وبالتالي يكون قد انتفع من فناء الذات وهو الفناء الأول في فناء الوسيلة، والحمد لله رب العالمين.

2/ مقام الفناء في الروح:

المقام الثاني من مقامات الفناء في الشيخ وهو مقام الفناء في الروح حيث إن المريد إذا حقق مقام الفناء في الذات ودام عليه ورسخ فيه ينتقل إلى المقام الثاني وهو الفناء في الروح، وهذا المقام هو انعكاس لفناء الجسد على فناء الروح، حيث إن المريد إذا فنا عن ذاته التي هي القنينة الجامعة للماء في ذات مرشده فقد تجاوز حجاب الذات، وصار عليه الآن أن تنتقل روحه إلى روح مرشده وتفنى فيها؛ ليدخل ماء روحه إلى ذلك الأنبوب الممتد من ذاته ـ التي هي القنينة ـ إلى المحيط الإلهي. وهذه مرحلة مهمة جدا في مقام فناء الوسيلة حيث إن النور يسري من روح مرشده إلى روح مريده، فتحيا روحُه بذلك النور وتستيقظ من غفوتها فتشاهد بعض تجليات ذلك النور، ولكن مشاهدتها بنفسها تكون محصورة محدودة غيرُ مُفَسَّرة وغير واضحة ولا صافية. حتى يغمرها ذاك النور، ويزداد شيئا فشيئا حتى تفنا فيه، والآن نتحدث عن مقام فناء الروح، وهو فناء الشيء في أصله، ولكن في أصله الحقيقي، فلكل شيء أصل وفرع، وهنا فناء الروح التي هي من النور في النور، وبالتالي فناء النور في النور كما سبق فناء الذات في الذات.

لهذا لا بد أن يكون للمرشد نورا محمديا ساكنا في روحه يَفِيضُ على الأرواح حتى تعود لأصلها وعودة الأرواح هو الفناء، فإذا فنت في ذلك النور صارت تشاهد به وتسمع به، وذلك النور هو من روح مرشده التي هي نور كذلك، وبالتالي يفنى النور الذي فنت فيه روح المريد في روح الشيخ، فيكون النور وسيلةً لفناء الروح في الروح؛ وهذه دلالة الرابطة النورانية مع المرشد حيث يخرج النور منه ويتوجه إلى المريد، فهذا مقام وسيلة يؤدي إلى الوسيلة، فبالنور تفنى الروح في

النور، وتفنى الروح في الروح، لأن الروح من النور، ولكن روح المرشد تكون روحًا من السرإذ تحققت فيه معاني النفخة الإلهية، وروح المريد نور فقط.

فلا بد لانتقال المريد من الروح النورانية إلى الروح المنفوخة بالسرأن يَفْنَى عن طريق النور، وذلك الأنبوب المتصل من الشيخ إلى روح المريد تكون بدايته سِرًّا ووسطه نُور السر، ونهايته نور الروح التي تطيقها روح المريد؛ فيسري ذلك النور إلى ذاته في المستوى الأول فيُطَهِّر روحَه نورُ الروح ويحيها ويفتح بصيرتها على عالم الروح. حتى إذا صارت مكشوفة وحية بالنور، اقترب المريد من شيخه واقترب إلى وسط الأنبوب الساري من الشيخ إليه، وحصلت الرابطة منه بنور السر، فتتغير طبيعة روح المريد من روح ميته كانت في جسده، إلى روح حية بنور الروح، ثم إلى روح حية بنور السر وهو نور النفخة الإلهية، وعبر هذا المستوى من الرابطة تصير مشاهدات الروح حقيقية غير محتاجة إلى تفسير ، ويصير اتصال المريد بعالم الغيب اتصالا حقيقيا كاملا، ولكن لا يتصل بعد بالله عز وجل حتى إذا اجتاز هذا المقام ووصل إلى السر التصقت روحه التي تأهلت بنور السر للوصول إلى السر بروح الشيخ ـ التي هي روح من السربتحقق النفخة الإلهية فيهـ ، فتتحقق النفخة الإلهية كذلك في روح المريد بانتقالها من روح النور إلى روح السر، فتصير روح المريد كروح الشيخ، ومعنى أن تصير الروحين بشكل واحد يعني أنهما روح واحدة فالسر واحد لا انقسام فيه، وهكذا يحصل الفناء في روح المرشد، لأن طبيعة روح المريد في البداية تكون غير مؤهلة للفناء والاتصال بروح المرشد، لذلك لا تصفو مشاهدة المريد في أول اتصال له بالشيخ، فهناك من يعتقد أنه إذا اتصل بالشيخ عليه أن يرى نفس المشاهدات التي يراها الشيخ بداعي أنهما متصلان بخط واحد، ولكن في الحقيقة ذلك الخط ثلاثة أصناف؛ وهو ليس إلا في الاتصال الأول بأنوار الروح الخفيفة التي يطيقها المريد والتي تتسرب إلى روحه فتحيها تدريجيا كالأم التي تُوقِظُ ابنتها لكن الأم لها سن معين ومعرفة معينة لم تصلها البنت بعد، و

لكنها توقظها لتسلك بها نفس المسلك حتى تصير مُؤَهلة مثلها. فإذا انتعشت روح المريد بأنوار الروح انتقلت بعد ذلك من خيط اتصال المريد بالمرشد (فالجزء الأول فيه أنوار الروح، والجزء الثاني فيه أنوار السر والجزء الثالث الذي هو روح الشيخ ذاتها وهو تحقيق السر)،وبهذا تتأهل روح المريد لتصير روحا حقيقية، أما في البداية لا تكون إلا نَفَسًا يصعد فيه وينزل يعطي الحياة للذات لا سر فيها ولا تحقق بالنفخة الإلهية فيها، وهل يعقل منطقيا ان تكون هذه الروح التي نسبها الله تعالى إليه قائلا:"فإذا سوَّيتُه ونفخت فيه من روحي"[6]الا وسيلة تعطي الحياة للذات؟، لا وعزة الله فإنها سر يجب أن توقظ بالسر وهو الشيخ.

فإذا تخطت روح المريد هذه المراحل الثلاثة وصارت روحه كروح الشيخ صارا روحا واحدة، وتحقق الفناء الروحي، فإن ذلك الأنبوب الذي هو ذات الشيخ يصل القنينة بالبحر فيه كذلك ماء البحر، فإذا تخطى المريد المقام الأول نزع عنه القنينة، و تخطى المقام الثاني فانتقل الماء الذي في القنينة ـ في المرحلة الثانية ـ إلى أنبوب المرشد يصير ماء واحدًا كما كان من قبل، فذلك ليس امتزاجا ولا اتحادا،ولا نقول هذا ماء المريد وهذا ماء الشيخ، بل هما ماء واحد وأصلهما من البحر، والعملية كل العملية كيف نوصل الماء إلى البحر؟

وبهذا يكون المريد قد اجتاز المقام الثاني من الفناء وهو فناء الروح، وصار الماء في الأنبوب ماء واحدا، وبهذا تصفو مشاهدات المريد وتصير تقريبًا كمشاهدات شيخه ولكن يبقى بينهما شيء واحد يفصل بينهما، وهو السر، أي إن للشيخ سر ليس للمريد، حتى يبلغ المريد إلى المقام الثالث من مقام الفناء في الشيخ، وهو فناء السر، فيصير لهما مقام واحد فيكتمل الفناء في الشيخ، وتكتمل المرحلة الأولى من الفناء في الوسيلة، والحمد لله رب العالمين.

---

[6]ـ سورة الحجر، الآية: 29

3/ مقام الفناء في سر رسول الله:

ننتقل بإذن الله تعالى إلى المقام الثالث من مقامات الفناء في الشيخ وهو الفناء في سره بعد الفناء في ذاته، وفي روحه حتى تصير الروح واحدة، ولكن يبقى الفرق بينهما هو السر؛ فالشيخ له سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمريد لا سر له بعد، وبهذا الفرق لا يكتمل الفناء. لذلك ينبغي على المريد أن يفنى في سر شيخه ليصير له نفس السر ويجتاز هذا المقام، فهو تلقائيا عندما تفنى روحه في روح الشيخ، وتنتقل روحه إلى درجة تحقيق السر، تبدأ بوراثة بعض أسرار شيخه ولكنها لا ترث السر الأكبر بعد، وهو سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن تكون بذلك مؤهلة لحمله.

وليتحقق هذا المقام صار على الروح أن تفنى عن فناءها في روح الشيخ لتصير فانية بلا فناء، وبالتالي تصير ضمن ذلك السر وتصير مالكة له، وهذا المقام **يحدث تلقائيا عن طريق الباطن**، لكن يجب أن **يتأهل له المريد عقليا وإدراكيا** من خلال:

أولا: عدم ادعاء وصوله إلى مقام الفناء في شيخه لأن ذلك يجعل له وجودا وبالتالي حتى وصل إلى الفناء في الروح لا يفنى في السر، بل عليه أن يستمر في محو ذاته كليا، دون أن يفكر بأنه ترقى في درجة الفناء حتى يتمكن من وراثة هذا السر.

ثانيا: أن ينتقل إلى المشاهدة بروح شيخه ويفنى عن مشاهدته لأن مشاهدته ولو كانت بالفناء تظل منسوبة له مقيدة تحت إطار الفناء لا يسمح لها بالمرور إلى السر ولكن إذا شاهد بروح شيخه فإنه يشاهد بالسر الذي فيها، وبالتالي يسري إليه السر عن طريق المشاهدة تدريجيا، والسر ليس يسري إلا في روح واحدة.

ثالثا: يصل إلى مرحلة محو وجوده كليا في وجود الشيخ وهنا ليس الروح أو الجسد بل يفنى كلية فلا يبقى عنده **شعور أو رغبة**، بل حتى الرغبة في امتلاك ذلك السر تحول دون ذلك، ولا **إرادة ولا قدرة** منفصلة عن شيخه حتى يصير هو شيخه، وذلك يحصل عن طريق محو الإرادة والرغبة والقدرة والمشاهدة في رغبة وإرادة وقدرة ومشاهدة الشيخ، فإذا صار هو شيخه اكتمل فناءه وورث سره ولو في حياة شيخه، لأنهما صارا روحا واحدة بجسد واحد وسر واحد، وهذا يؤهله إلى مقامات عليا من الفناء، وهو الفناء في روح ذلك السر وروحه هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى تنتقل مشاهداته كليا من شيخه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث إنه أصبح عليه أن لا يشاهد نفسه، وإذا شاهد الشيخ فقد شاهد نفسه، لهذا عليه أن يركز كل التركيز في روح السر فيفنى عن ذات السر وذاته، وذات السر ما ظهر من تجلياته من كرامات وتحكم في الملك والملكوت، وأن لا يلتفت إلى نفسه بالتفاته إلى الشيخ حتى يصير نبع الماء النازل من القارورة إلى الأنبوب نبع واحد صافي الذوق، وهو في طريقه للنزول إلى لوادي الذي يكب في البحر ، وذلك الواد هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا نحصره في الواد بل انه جزء من البحر ولكن من كرمه ورحمته اللذان تنزلتا من الله عليه مد يده إلى الخلق ليوصلهم إلى الله وتلك اليد الممدود هو ذلك الواد، أما هو صلى الله عليه وسلم جزء من البحر أو نقول هو البحر لأن البحر لا يجزأ فهو فان في أصله لأنه فان في الله عز وجل، وبالتالي انغرست فيه صفات الله من رحمة وشفقة على الخلق فمد يده إليهم رحمة بهم لا احتياج لهم، فيصير الماء النازل من قارورة المريد مع الماء الساري في أنبوب شيخه ماء واحدا وينزل ذلك الماء إلى الواد بفناءه عن مشاهدة ذاته أي ذات الشيخ وقد صار المريد هو ذات الشيخ وروحه ولكن الذات تبقى للذات والروح هي المقصودة بهذا السفر لأن الذات تفنى بعد أيام قليلة والروح ترجع إلى أصلها القديم، وليست الذات إلى سجنا للروح وليست فيها أي

ميزة غير أنها امتحان من الله عز وجل، فإذا وصل الماء إلى آخر الأنبوب وحان وقت نزوله في الواد انتقل المريد إلى مقامات الفناء في رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون قد نجح في المقامات الثلاثة الأولى من مقامات الفناء في الشيخ، ويكون قد كَمُل فناءه فيه باكتمال فناءه في سره، حتى يصير هو هو وهذا ما يسمى بفناء الوسيلة الذي إن تحقق مد فناء المقصود يده إلى المريد ليوصله إلى مقصوده والمقصود واحد هو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينفصل أحدهما عن الآخر في الطلب، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وجه الله المُمِد لخلقه، والحمد لله رب العالمين.

فناء المقصود:

4/ مقام الفناء في ذات رسول الله:

ننتقل بإذن الله تعالى إلى مقامات الفناء في رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فناء مقصود وليس فناء وسيلة كالمقام السابق، والمقام الأول من الفناء هو الفناء في ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث إنه إذا كمل فناء المريد في شيخه صار عليه أن لا ينظر في نفسه بل يحصر نظره في النظر إلى ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يفنى فيه وينتقل سره ونوره وروحه إليه، ليجد نفسه في اتصال مع الله عز وجل، وأول فناء في الذات النبوية هو عدم التفات عليها لأي وجهة أخرى، حيث انه إذا وصل المريد إليها صار عليه أن يفنى في مشاهدتها حتى يغيب عن ذاته وحسه وذلك يحصل بإعطاء الشيخ الإذن للمريد في مراقبات يومية لذات رسول الله تصل لتسع ساعات في اليوم متصلة تجد المريد مركزا فيها على ذات رسول الله ولسانه منشغل بالصلاة عليه حتى تكتمل مشاهدته لها في الساعتين الأولى ثم يبدأ بالغياب في مشاهدتها عن ذاته حتى إذا وصل إلى الساعة

الثالثة فنا فناء كليا فيها فكأنه ينظر إليها في البداية عن بعد ثم بعد ذلك عن قرب حتى ينظر إليها منها، ثم قد يغيب فيها اليوم كله دون أن يشعر حتى فاذا شعر وعاد إلى حسه وجد أنه لم يشعر بمرور الوقت ويكررها كل يوم حتى يصير حاله أنه يفنى في مشاهدتها ويشاهدها منها ويسكر بها فلا يصحو من ذلك السكر أبدا، فيصحبه ذلك الحال ساعة وينقطع عنه ساعة حتى يصير مصاحبا له،لا ينقطع عنه أبدا وتلك بداية انتقال المريد من ذاته التي هي ذات شيخه إلى ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذلك يكون مصاحبا لاستحضار العقل والقلب طيلة اليوم وعدم غفلتهما أبدا عن ذات رسول الله مشاهدة لا تفكرا، ولكن تكون المشاهدة هنا مشاهدة عن بعد، وفي المراقبة المأذونة تتطور أنواع المشاهدة، وهناك ثلاثة مستويات للفناء في ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشاهدة

المستوى الأول: هو الفناء في مشاهدتها عن بعد، حيث إن المريد لا تفرقه ذات رسول الله ولا يشعر إلا بها ولا يحس إلا بها ولا يرى غيرها في الوجود وإن تقلب في شؤون دنياه لا يرى إلا ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا أول مستوى على المريد تحقيقه، ويتحقق بداية بحصول أول مشاهدة للذات النبوية، ثم بالتفكر فيها طيلة اليوم، ثم بالصلاة عليها والتفكر فيها، ثم يستبدل التفكر بالمشاهدة فتصير الصلاة عليها والمشاهدة طيلة اليوم حتى تصير مشاهدة دائمة للمريد لها

والمستوى الثاني/ هو المشاهدة عن قرب، وهي أن يشاهد المريد ذات رسول الله وهو فان عن ذاته، ففي المستوى السابق فان عن الخلائق وفي هذا المستوى فان عن ذاته فيشاهدها بلا ذات وبلا روح، ويشاهدها بلا مشاهدة لأن مشاهدته وروحه لا تطيق ذلك، فإذا تمكن من هذا الحال وصار يشاهد ذات النبي صلى الله

عليه وسلم بلا مشاهدة صار يشاهدها حقيقة بالذات ولا تصير مرتبطة عنده بالمشاهدات الغيبية ولكن تصير عنده حقيقة مكتملة سواء كوشف أو لم يكاشف، فذات النبي يراها خارج عالم الكشف والباطن بل يراها حقيقة كأنها تعيش معه في زمانه، ففي هذا القسم الأول إلغاء مشاهدتها بالمشاهدة، وتلقائيا يتبعها القسم الثاني وهو إلغاء المشاهدة بالذات لأنه اذا شاهدها بلا مشاهدة يعني أنه يشاهدها بالذات ولا يمكن لذاته أن تشاهد ذاته صلى الله عليه وسلم لأنهما ليسا في زمن واحد وحتى ذات المريد لا تطيق ذلك إذن عليه أن يلغي المشاهدة بذاته فيشاهدها بلا مشاهدة وبلا ذات وبالتالي مشاهدة باقية لا تفنى لا بفناء مشاهدته حين يحجب ولا بفناء ذاته حين تموت وإذا تمكن من هذا الحال انتقل إلى المستوى الثالث وهذا يحصل مباشرة مستوى بعد آخر لأنهم مرتبطين فيما بينهم الواحد يكمل الأخر. انتقل الى المستوى الثالث وهو

المستوى الثالث مشاهدة ذاته صلى الله عليه وسلم من ذاته، إذ إن كان لا يشاهدها بالمشاهدة ولا يشاهدها بالذات فمن أين يشاهدها؟،لا بد للمشاهدة من أصل لأن الفاني لا يشاهد حتى يفنى في الفاني فيه، وتصير مشاهدته لها من ذاته صلى الله عليه وسلم، ويصير وجوده وحياته الحقيقية بحياة ذات رسول الله فيشاهد ذاته منه، ثم يحيا بحياة ذاته، وبهذا المستوى يسري الماء الذي هو روح المريد من أبوب الشيخ إلى واد رسول الله صلى الله عليه وسلم والماء من الماء أصل واحد فإذا عاد إليه لم يكن بينهما تفرق في الصفات إذ أن من له نفس صفات الشيء إذا اختلط معه صار شيء واحد غير منفصل عنه حتى إذا كانت صفاته غير صفات الشيء إذا اختلط معه صارا شيئين مختلطين مختلفين غير متجانسين، أما هما فالماء بنفس صفات الماء وبالتالي ماء واحد ويكون المريد قد تحقق بالفناء في ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يؤهله الى مقامات أخرى من الفناء وهو الفناء في روحه صلى الله عليه وسلم ثم الفناء في وجوده في حضرة

الله تعالى لينتقل المريد إلى الفناء الأكبر وهو الفناء في الله تعالى أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين

5/ مقام الفناء في روح رسول الله:

المقام الخامس من مقامات الفناء في رسول الله وهو مقام الفناء في روحه عليه الصلاة والسلام فبعد وصول المريد إلى مستوى مشاهدة ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذاته صلى الله عليه وسلم، صار عليه أن ينتقل لمشاهدة حقيقته وروحه صلى الله عليه وسلم وذلك بالمشاهدة من ذاته صلى الله عليه وسلم ولكن يتغير توجه المشاهدة من مشاهدة الذات إلى مشاهدة الحقيقة والروح، فإذا تغيرت وجهة المشاهدة وشاهد المريد روحه صلى الله عليه وسلم لا يجدها إلا سرا كبيرا بل أعظم سر من أسرار الله تعالى، وهذا المستوى الأول من مشاهدة روحه صلى الله عليه وسلم وهي المشاهدة من الخارج أي يرى ذات روحه ولا يرى روحه بعد، وذات الروح ليست هي الذات الجسدية التي فنا فيها، وإنما هو شكل الروح الذي يظهر للمريد قبل أن يشاهدها في المستوى الثاني وهو المشاهدة من الداخل، ولكن في البداية يجب أن يستقر حاله على مشاهدة روح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخارج، وهو رؤية سر من أسرار الله أعظم سر وأشرف سر في الوجود، لا يتشكل بشكل محدد ولا يتجلى على هيئة معينة وإنما يتجلى كل ساعة بتجلي فإذا حصلت للمريد مشاهدته واستقر عليها، صار عليه:

ليتحقق من الانتقال من ذات السر إلى روح السر

أولا: أن يشاهد ذات السر أي ذات روحه صلى الله عليه وسلم من ذاته صلى الله عليه وسلم، وهذا المقام يكون قد تحقق بفناءه في ذاته صلى الله عليه وسلم، ولكن باطن السر لا يظهر من الذات المحمدية ليس لأنها لا تطيق ولكن

لأنها متوجهة إلى الخلق والسر متوجه إلى الحق سبحانه، وهذا يسقي ذاك ليسري من صورته صلى الله عليه وسلم المدد إلى كافة الخلق،

ثانيا فإن أراد المريد أن ينتقل صار عليه أن يشاهد الذات المحمدية من ذات السر لأن في الحقيقة السر الذي هو روحه يتكون من مكونين ذات السر و روح السر فروح السر متوجه إلى الحق جل جلاله، وذات السر متوجه الى الذات المحمدية والذات المحمدية متوجهة إلى الخلق، لهذا لا يمكن المشاهدة بالعكس أي لا يمكن مشاهدة ذات السر وباطنه عن طريق الذات المحمدية ولكن تشاهد الذات المحمدية بذات السر المتوجه إليها

ثالثا: ومن أجل تحقيق هذا الانتقال يحدث أولا بإذن شيخه ، وثانيا بذكر مأذون يشتمل على صلوات خاصة تفيض من سره صلى الله عليه وسلم لتفيض على المريد فتسحبه من الذات المحمدية إلى الذات الأحمدية وهي ذات السر ولا يحصل ذلك بشكل ولا بجسد وإنما يحصل بفضل الله في أقل من طرفة عين ، فتجده يشاهد الذات المحمدية بالذات الأحمدية المتوجهة إليها.

رابعا: ولينتقل إلى باطن السر، الذي هو الحقيقة الحبيبية صار عليه أن يذوب في الذات الأحمدية وذلك فضل من الله على المريد لا يحصل بقدرة المريد ولا بإرادته فاذا ذاب في ذلك الستار وفي تلك الذات صارت روحه هي الذات الأحمدية أي أن روحه هي الحجاب، وهي ذات روح السر، وبالتالي يكتشف باطن السر من ذاته التي هي ذات السر فيلتفت من ذاته إلى باطنه، فإذا التفت لا يرى باطنه لأن الباطن هو المتوجه إلى الذات وليس العكس ولكن إذا التفت يسلب من ذات السر ليفنى في باطن السر فيبصره، وإذا تمثل له تمثل تجل لصفات الله عز وجل، التي وقرت في روحه، وروحه صلى الله عليه وسلم هي سر الوجود، وهذا السر ما كان ليُفَّعل إلا عن طريق ذاته المحمدية التي فاض منها السر على

الموجودات كلها فخلقت بذلك السر، وفي ذلك مقامات أخرى لا تفصل كتابة وإنما يعلمها المريد إذا وصل إلى هذا المقام وشاهد باطن السر الذي هو تجل لصفات الله في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وباطن السر هو السر **الحبيبي** لأن سر محبة الله لسيدنا محمد هو ذلك التجلي في الصفات لهذا كان باطن التجلي في صفاته هو سر الحببية وهي الحقيقة الأصلية والأولية له صلى الله عليه وسلم نشأت عنها ذات السر، إذ لا يمكن للسر أن يظهر بلا ذات وإلا لا يكون سرا، فقل خلقت هذه الذات على شكل ذات أحمدية وهذا لا يطيقه الخلق، لهذا سرى إليهم هذا السر عن طريق خلق الذات المحمدية وكذلك أتى زمان لا يطيق فيه الخلق وصول السر إليهم مباشرة من الذات المحمدية فأتت روح المرشد لتوصل هذا السر وروحه لا يطيقه أحد، لهذا فقد سترت تحت حجاب البشرية، ومن بشريته يصلهم السر، وينفخ فيهم السر من الله تعالى مرورا بكل هذه السلسلة حتى يتحقق فيهم سر النفخة الإلهية وهو سر الروح، وسر أرواحهم فائض من سره روحه صلى الله عليه وسلم وروحه صلى الله عليه وسلم هي سر وليصلهم هذا السر فتحيى أرواحهم به لا بد أن يصل عن طريق هذه السلسلة

ونعيد هذه السلسلة باختصار من الأخير إلى البداية، ولن نصل إلى البداية فلازالت هناك مقامات أخرى تفصل وتشرح البداية

فأول ما ينفث السر في روح المريد هو عن طريق

أولا المرحلة الأولى فناءه في ذات شيخه لينتقل من البشرية إلى الروحانية، ثم فناءه في روح شيخه وهذا زمن نفث السر فيه ثم فناءه في سر شيخه، ثم فناءه في روح سر شيخه الذي هو فناؤه في ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم المحمدية، ثم فناءه في ذات روح سيدنا محمد الأحمدية أي ذات السر وذات الروح ، ومن ذلك السر فناؤه في باطن السر أي في باطن الروح الذي هو فناؤه في الحقيقية

الحبيبية بتجلي صفات الله في باطن السر ثم بعد ذلك فناء في الوجود الحقيقي له صلى الله عليه وسلم التي هي روحه العظمى أو الحجاب الأعظم والتي سيأتي التفصيل فيها في المقام الأخير من فناء فيه صلى الله عليه وسلم حتى الفناء في وجوده إلى الفناء فيه تعالى، والحمد لله رب العالمين.

6/ مقام الفناء في وجوده صلى الله عليه وسلم:

ننتقل بإذن الله إلى مقام الفناء في وجوده صلى الله عليه وسلم، فالمريد إذا تحقق بكل المراحل السابقة وفنا في باطن سره الذي هو تجل لصفات الله ينتقل المريد من الفناء في روحه إلى الفناء في روح سره، إلى الفناء في الروح العظمى وهي حقيقة وجوده صلى الله عليه وسلم وهي الروح الأصل الذي منها خلق السر وخلقت الذات وهذه الروح العظمى أو الحجاب الأعظم هو أقصى ما يصله المريد من فناء في حقيقة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهذه هي حقيقته العظمى، ولينتقل من فناء السر إلى الفناء في الله لا بد أن ينتقل عن طريق رابط إلهي بين الله عز وجل وبين حقيقة السر، وهي صفات الله تعالى المتجلية فيها، وإذا أراد المريد أن ينتقل من الصفات المتجلية في باطن السر إلى الصفات الحقيقية لله عز وجل فإنه لا يطيق ذلك إلا أنه يصل في أقصى ما يصل إليه وهو الحجاب الأعظم أو الروح العظمى التي يحصل فيها الانعكاس من الصفات الإلهية إلى الصفات البشرية وأول ما تجلت هذه الصفات تجلت في روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي هي سر الوجود، لتفيض بعد ذلك على سائر المخلوقات عن طريق سلسلة سبق ذكرها، فإذا وصل المريد إلى مرآة التجلي والتي هي الحجاب الأعظم أو الروح العظمى، صار عليه أن يفنى في ذلك الحجاب عنه،والفناء عنه هو الفناء فيه، إذ ما يتخطاه هو فقط انعكاس له، أو اتصال قديم بالله عز وجل أما المريد

بذاته ووعيه بالوجود لا يتخطى هذا الحجاب أبدا، وهو بنفسه رابط يفني العبد في مولاه.

وليتمكن المريد من اجتياز هذا المقام والفناء في هذا الحجاب عليه أن تصبح صفاته موافقة للصفات المنعكسة في ذلك الحجاب، أي أن تصير صفاته هي صفات الله عز وجل المتجلية في ذلك الحجاب إلى نموذجها البشري، فإذا وصل إلى تلك الصفات واكتملت مقاماتها في نفسه، وصارت نفسه فانية في ذلك الحجاب أي أن نفسه صارت نسخة مصغرة من ذلك الحجاب، فنفس الصفات المنعكسة فيه منعكسة عن طريقه في النفس، فتفنى النفس فيه حيث يصبحان شيئا واحدا لكن مع ذلك لا ترقى النفس إلى مستواه فتفنى فيه وهي ليست كقدره وإنما تفنى فيه جزئيا وليس كليا، فنشبهها كزجاجة محيت ووضعت على مصباح كله نور، هل ستظهر تلك الزجاجة بنفسها منفردة؟ أم ستعكس ذلك النور؟ بطبيعة الحال ستعكسه ولن تظهر أبدا وهذا ما يسمى بالفاء الجزئي فكل المقامات السابقة كانت فناء كليا، وبداية من هذا الحجاب يبدأ الفناء الجزئي فيفنى المريد في هذا الحجاب ثم في الله عز وجل فناء جزئيا فقط ومثاله ما ذكرناه، حتى إذا فنت نفسه وصارت جزءا لا يتجزأ من ذلك الحجاب فنا في ذلك الحجاب أي فنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وذاك هو وجوده الحق فوجوده صلى الله عليه وسلم يكتمل في ذلك الحجاب أما من قبل لا تكتمل حقيقة وجوده وإنما يكون جزء من أنواره صلى الله عليه وسلم فالذات تجل لبعض صفات الجلال والجمال المنبعثة من ذلك الحجاب وهي قليلة وروحه كذلك تجل لتلك الصفات وذات روحه تجل لكمال الذات الإلهية، ولكن وجوده يكتمل كليا عند وصول المريد لهذا الحجاب فإن فنا فيه فنا في وجوده وفنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم كليا فيتأهل بذلك لينتقل إلى الفناء الأخير وهو

الفناء المقصود الأكبر في الله تعالى وذلك الفناء ليس معناه كلفظه وإنما له خصوصيته يفهمها العارفون بفهمه صلى الله عليه وسلم.

وخلاصة هذا الحجاب هو انمحاء صفات النفس في صفات ذلك الحجاب فتكون صفات المريد قد تأهلت من قبل بفنائها في ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصبح النفس لوامة ثم في باطن رسول الله فتصير النفس كاملة حتى إذا بلغ إلى ذلك الحجاب صار على النفس أن تنمحي كلية وتزيل كل ما بقي فيها من ظلال للصفات لتتجلى عليها شمس الصفات الإلهية عن طريق الحجاب الأعظم لتنمحي فيه وتفنى فيه لتصير بعد ذلك نفس فانية ويعقب بعد ذلك مراتب أخرى في الفناء في الله عز وجل والحمد لله رب العالمين. مصحح

7/ مقام الفناء في الله عز وجل:

المقام السابع والأخير من مقامات الفناء، وهو المقام الوتر في الفناء في الله عز وجل، وهذا المقام يبلغه من اخْتَصَّهُ الله بفضله واحْتَضَنَتْه عناية الله عز وجل، فهو مقام أقرب المقربين المحبوبين عند الله عز وجل. فحتى إذا فَنِيَ المريد في الحجاب الأعظم يفنى عنه فيه. فالفناء الأول يُخْتَصُّ بالفناء الكامل في وجوده صلى الله عليه وسلم، والفناء الثاني هو الفناء في الله عز وجل لأن ذلك الحجاب الأعظم فيه مرحلتين يقطعهما المريد. المرحلة الأولى: وهي المستوى السابق، ويكون المريد متصلا بالنبي صلى الله عليه وسلم. والمرحلة الثانية وهي مرحلة التجلي الأكبر لله عز وجل وذلك أقصى ما يُطِيقُه العبد ولا يطيق أكثر من ذلك، إلا إذا انتقل إلى جناب الله عز وجل، وذلك شأنه إذا أراد الله أن يغني بالنظر إلى وجهه الكريم. ولكن مادام العبد في الدنيا فإنه لا يتجاوز المرحلة الثانية من الحجاب حيث يتجلى الله عز وجل التجلي الأكبر، وأعظم تجَلٍّ له على العبد تجليه في حجابه وذلك من كماله تعالى وليس من نقصه، لأن البعض يقول: "إن الله عز وجل لا

يمكن أن يتجلى على العبد بلا حجاب"، وفي ذلك إشارة إلى الله بالنقص والله مُنَزَّه عن ذلك ولكنه عين الكمال أن يظهر مستورا في حجابه، وذلك من قَهْرِيَتِه للعباد، وإذا بلغ العبد هذا المقام لم يَصِر لفناءه إسم ولا رسم؛ فمجرد الدخول إلى هذا المقام، ـ أي المرحلة الثانية من الحجاب الأعظم ـ هي فناء في الله عز وجل، فالفناء هناك لا يحتاج إل وسيلة ولا أداة، فهو في ذلك المرحلة من الله إلى عبده، لأن العبد يكون في تلك المرحلة حجابا فيصير هو المرحلة الأولى من الحجاب الأعظم.

والتجلي هو المرحلة الثانية، والمرحلة هنا لا تقسم هنا تقسيما مكانيا فنقول هذا عن اليمين وهذا عن الشمال، ولا زمانيا فلا نقول هذا في الزمن الماضي وهذا يأتي بعده، ولكنه يكون كما أراده الله عز وجل. وحتى من وصله من العارفين لا يطيقون وصفه كلاما، و كذلك لا يجتمعون على وصف واحد في باطنه، فالكل يَظْهَرُ له الحِجَاب بتجل من التجليات ـ فهو تجل واحد لا ينقسم ـ ولكن الكل يراه حسب المكان الذي احترقت فيه نفسه على الحجاب بلا مكان. ونشبه ذلك كأن الحجاب لوحةٌ كبيرةٌ ونفوس العارفين أوراق، فنضع كل ورقة في مكان على ذلك اللوح ـ ولو أن التجلي واحد ـ فالكل سيشهده من مكانه، وهذا تقريب فقط وليس وصفًا حقيقيًا، وإنما لِيُفْهَمَ سبب اختلاف التجلي الأعظم، فإذا نظر المريد إلى تجلي الله عز وجل نظر بعين تجلي الحجاب الأول إلى الحجاب الثاني ـ الذي هو التجلي ـ وهما حجاب واحد لا ينقسمان ذاتيا، ولكن ذلك لتقريب المعنى فحسب.

و **حالة الفناء** هذه التي تحصل للمريد **تجعله مَسْلُوبًا كُلَّ السَّلْب عن حِسِّه** فلا يعيش كما يعيش غيره، ولا يأكل كما يأكل غيره، ولا يشرب كغيره، وإنما له خصوصية يعلمها الله عز وجل؛ **فحياة ذاته كمال، وحياة روحه أكمل، وانتقال ذاته وفناؤها هو كمال** كذلك.

فالكمال الأول هو تجل لصفة الكمال في العبد بالنقص، حيث يتجلى الواحد الأحد على العبد فيصير منه ذاتًا وروحًا.

و **الكمال الثاني هو عدم اتصال العبد بأحد غير الله تعالى** لأن ذاته من قبل كانت في اتصال مع الخلق.

فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، ولا رَادَّ لفضله إن شاء أن يغني عبده،و ما بقي أعظم مما ذكر لكن تضيق العبارة عن ذكره، لكن المريد إذا بلغ إلى هذه المرحلة لا شك يعلمه و يعرفه حقيقة، والأهم لدى المريد هو تحقيق المراحل الأولى من فناء الوسيلة، وبعض المراحل من فناء المقصود، أما ما بَقِيَ يكون فضلا من الله عليه، فما عليه إلا أن يُبَادِر بالفعل في البداية، والله أكبر من أن يُخَيِّبَه فيسلبه مما بَلَّغَه إليه حتى يوصله إليه، وليست لهذه المراحل زمان ولا مكان، إلا أن أغلب المراحل الأولى ترتبط بالمريد ولكنها أيضًا بتوفيق من الله عز وجل. وما بَقِيَ فَيُؤْتِيه الله لعبده أَنَّى شاء، ومَتَى مَا أَرَاد فذلك أمره، وذلك فضله، والحمد لله رب العالمين..

VII. مقامات المشاهدة

ننتقل بإذن الله تعالى إلى المقام الأخير من مقامات الصديقين، وأول مقام يختم به على سير المريد في مقاماته العليا، وكذا يختبر به في المقامات الأولى وهو مقام المشاهدة، وهذا المقام كله فضل من الله عكس المقامات السابقة التي يجب على المريد ان يجتهد فيها لتحقيقها، فهو فضل محض، أما في المقامات الأولى ليس ضروريا أن يمتلم المريد هذا المقام، ولكن فليكن على يقين أنه لا يختم على سيره بالوصول حتى يختم على بصيرته بمشاهدة تجلي ذات الله عز وجل، وهذا التجلي لا ينتهي ولا ينقطع، ولا يتشكل ولا يتمثل بل هو مستمر باق ببقاء الله عز وجل، وهو مقصود في السير إلى الله تعالى لأن طلب الله يتضمن قواعد ذاتية بشرية، في اتصال المريد بربه، ولا تنتهي هذه القواعد حتى ينتقل المريد إلى عالم البرزخ، أو عالم الله ع

وضمن هذه القواعد: المجالسة والمشاهدة والخطاب والكلام، فهذه علائق تصل المريد بمحبوبه وهي أعلى ما يصله المريد في دار الفناء في طريقه إلى الله، ولكن إن انتقل إلى دار البقاء تصل صلته بالله غير محتاجة إلى هذه القواعد البشرية، لأن كل بشرية في المريد ينمحي بانمحاء الجسد تحت الأرض ليصير مع الله بلا علاقة، وأول مقام من مقامات المشاهدة الذي هو مقام المبتدئين في السير إلى الله تعالى، ويسمى مقام مشاهدة التثبيت، حيث يكشف المريد في هذه المرحلة وهو أول كشف يحصل له بعد التحاقه بشيخه من أجل أن يتثبت ويرسخ في طريق الله، وليعلم أن هذه الطريق هي طريق حق، وأنها موصلة إلى الله سالكة وسط العواصف، وأن منتهاها هو الله عز وجل، فيرتاح باطن المريد وظاهره من التشوف والبحث عن طرق أخرى موصلة إلى الحق وهذه المشاهدة لا تتعدى حجاب ذاته حيث إنه يشاهد وهو في وسط ذاته لا يخرج منها ولا يجتاز حجاب الذات بعد، وكل

ما يشاهده نفحات تصله من بركة الذكر المأذون الذي أمده به شيخه، فقط ليتثبت من أن هذا الطريق هو طريق الله تعالى. فالهدف من هذه المشاهدة هو التثبيت وليس التيقين حيث لا تحجبه هذه المشاهدة عن الشك في المنهج أو الشك في شيخه، أو الرجوع من الطريق أو تغييرها فهي مجرد مشاهدة برهان لتكون له شاهدة عند الله عز وجل. وهذه المشاهدة تنقطع فور انعقاد نية المريد على السير في هذه الطريق لتليها درجات أخرى من المشاهدة، ودرجات المشاهدة كثيرة سنتطرق بإذن الله لكل واحدة منها، فهناك مشاهدة الابتلاء والاختبار، وهي غالبا ما تأتي بعد التثبيت، ومشاهدة الإرشاد ، ومشاهدة الإيقان، ومشاهدة التحقيق، ومشاهدة اللامشاهدة، تليها بعد ذلك مشاهدة الوصول وهي المشاهدة الراسخة التي تقي المريد من أي زيغ أو انحراف عن طريق الله عز وجل، وفيها كمال المشاهد. والمريد لا بد أن يمر من مسلك هذه المشاهدات بدءا من مشاهدة التثبيت وختما بمشاهدة الوصول، ولكن ليس فرضا أن يكون ما بينهما على هذا الترتيب الذي ذكرناه، فذلك يأتي حسب المريد وطاقته وفضل الله عليه، وفي الحقيقة مشاهدة التثبيت هي فضل من الله عز وجل وليست فقط تكون شاهدة عليه يوم القيامة وإنما تكون شاهدة له في الحياة الدنيا حتى إنه إذا ما زاغ عن الطريق ترده هذه المشاهدة إن أراد الله به خيرا، وإلا فينساها وتنمحي من ذاكرته، وهذه علامة أنه لن يتقدم أبدا في مستويات المشاهدة التي تليها ويخاف عليه من الإعراض والإنكار وسوء الخاتمة والعياذ بالله، وهذه المشاهدة تتضمن صوتا وصورة وأغلب ما تتوجه إليه المشاهد هي صورة الشيخ وأحيانا بقية المشايخ، واتصاله المباشر برسول الله ويتركز الخطاب الذي يسمعه المريد في هذا المقام على أن ذلك الشيخ هو وسيلته إلى الله وأنه موصول برسول الله، وأن صحبته فيها الفلاح والنجاح والإعراض عنه فيه الهلاك لا احتراز عنه، ولا تتجاوز هذا النطاق نطاق المشايخ ونور رسول الله، حتى يظن بعض المريدين في هذه المرحلة أنهم

وصلوا إلى رسول الله وفي الحقيقة حتى ذلك النور الذي يرونه ليس برسول الله، وإنما تثبيت لهم على أن ذلك الشيخ موصول برسول الله موصل لهم، وكيف يريدون الوصول إلى رسول الله وهم في بداية السير والتعلقات محيطة بهم من كل جهة، ونفسهم لم تبدأ في السير بعد، لأن وقت بداية سير المريد إلى الله تعالى يختلف كليا عن وقت بداية النفس ذلك السير لأن النفس قد تبدأ بعد سنتين أو ثلاث والعلم لله، وأقصر ما يكون الفرق بينهم هو ستة أشهر إلى سنة، فهذا كل ما تصله هذه المشاهدة ـ مشاهدة التثبيت ـ حيث إنها تحوم كليا حول تثبيت المريد في طريقه وقد تكون له تحلية من الزيغ في المعاصي وقد تكون له تحلية قبل التخلية وهي ليست حتى 0,001 من المشاهدة الحقيقة ولكن المريد ينشغل بها ويستحليها حتى يظنها كل السير إلى الله تعالى، فإذا انقطعت مشاهدته توقف عن السير، لكن ذلك الانقطاع هو في الحقيقة ترق له إلى مستويات أخرى من المشاهدة الحقيقية. والحمد لله رب العالمين.

2/ مقام مشاهدة

المقام الثاني من مقامات المشاهدة وهو مقام مشاهدة الاختبار الذي يأتي بعد مشاهدة التثبيت فإذا ثُبِّت المريد على طريقته وقضى أشواطا من الذكر والمجاهدة تأتي هذه المشاهدة إليه وتكون أوضح وأعمق من التي قبلها بغرض اختبار صدق نيته، وكمال إخلاصه وإلحاحه في الوصول إلى الله عز وجل فتأتي هذه المشاهدة قصد إعاقته و إلفاته إليها، ورد المريد على ذلك يكون صنفين:

إما أن يكون قوي العزيمة والإرادة دخل السير من أجل الوصول الى الله ونار الشوق لله عز وجل مشتعلة كالبركان في قلبه لا تخمد أبدا، يتخطى كل العوائق ويريد الوصول بصدق إلى الله عز وجل، فإذا أتته لا يلقي لها بالا ولا يتوجه إليها ولو رأى منها ما رأى فتجده يغوص فيها ويخرج منها وقلبه لازال متشوفا يشعر أنه

لم يبلغ مقصوده بعد، وأن مقصوده أبعد من هذا مقصوده هو الله عز وجل فيرجع إلى الطريق ليكمل سيره هذا الناجح من المريدين

والصنف الثاني تجد إلحاحه في الوصول إلى الله تعالى ضعيفا دخل السير ربما من أجل التجريب أو ربما وجد نفسه هناك دون سابق معرفة وعزمه ضعيف لا يبتغي الوصول إلى الله تعالى وانما يبتغي غير ذلك ، فإذا غاص في هذه المشاهدة خرج منها فرحا مسرورا ووجد قلبه قد أطفئت نار طلبه وأخمدت، وأنه قد خمد عزمه وإلحاحه وكأنه بلغ الى مقصوده، ويراها أغلى ما يمكن أن يصله فمجرد هذا الشعور يبرده عن السير في طريق الله تعالى فإما ينحرف ويتبعها أو يعود إلى السكة فيجد همته قد ضعفت وكأنه قد نال كل مطلوبه فيتقدم قليلا ثم يرجع ويستكين إلى تلك المشاهدة فلا يبلغ المقصود الذي هو الله عز وجل، وهذه من أكبر الاختبارات التي توضع في طريق المريد وهي اختبارات حاسمة لمصيره، وهذه المشاهدة لا تكون محدودة كالسابق وإنما تكون منفتحة على كل شيء ولكن علامتها أنها منحصرة على عالم الدنيا لا تخترق برزخه فإذا أراد التوجه إلى السماء انطفأت عين بصيرته فلا يطيق ذلك، ومن علامتها أيضا تغير القصد لدى المريد فيها، فلا يصير مقصودها هو الله عز وجل بل تتفرق به المقاصد كالرياء والسمعة، ثم تنحرف أكثر إلى الانتقام وغير ذلك فيتوجه إلى السحر والشعوذة لتتحول مشاهداته إلى فتح ظلماني فينفصل عن الله تعالى، وكل هذا دون أن يشعر بذلك ولا يشعر حتى يجد نفسه قد انفصل عن ركب السائرين إلى الله، ونشبه ذلك بسكة مستقيمة وطريق مستقيم هو طريق الله منتهاه هو الوصول إلى الله عز وجل وفي جانبه انحرافات قد تكون للاستراحة أو غير ذلك، وهذه الانحرافات غير حقيقية ولكن وهمية، فور دخول المريد إليها تنقطع طريق الرجوع، فيجد أن الطريق التي دخل منها طريق وهمية ولا يستطيع الرجوع إلى السكة بل يجد نفسه قد حوصر في ذلك المكان ولا طريق له للرجوع إلى سبيل الله عز وجل.

وغالبا ما يختبر المريد بمثل هذه الاختبارات في وسط سيره لأنه يكون قد انتقل إلى مرحلة مهمة تحدد صدق طلبه من البداية، وقد لا يظهر هذا عند بداية سيره بل قد تجد المريد منغلقا لا يفكر في المشاهدات ولا يطلبها، بل نقول لا يظهر ذلك على ظاهره ولكن يكون في باطنه شيء من ذلك حتى إذا توسط السير يظهر في المريد كل ما كان لغير الله فإما أن يتصحح ليكمل طريقه مجردا وإما ينحرف به عن السبيل المستقيم، ومن أجل تفادي فشل المريد في هذه الابتلاءات عليه أن يمحص مقصوده في بداية السير ويوجهه كليا إلى الله تعالى، ولا يوجهه بالقول فقط وإنما يوجه وجدانه وكيانه وباطنه وارتباطه وتعلقه بالله عز وجل، ولكنه لا بد أن يكون له تشوق لهذا المقام لأنه مقام غائب عن العيان فذلك يكون من باب الفضول فقط، وليس من باب القصد، فنقول هذا أمر طبيعي يحصل لدى كافة المريدين أما إن كان من باب القصد فعليه تصحيح نيته.

ثانيا عليه الرجوع إلى شيخه وإخباره بذلك لكي لا يتفاقم حاله المرضي ويزداد سوءا وفي الحقيقة من الضروري على المريد أن يخبر شيخه بكل ما يقف عائقا بينه وبين اله تعالى فيحل المرشد ذلك عائقا بعد عائق، فيحله بكلام يطمئن عقل المريد وبنور يسري إلى باطنه فيمسح تلك التعلقات ويطهرها ويوجهها لله عز وجل، وهذا من أخطر ما يهلك المريد فكان الأولى أن يخبر به شيخه ليقيه شر الالتفات والزيغ والخروج من الطريق، ولكن يبقى على المريد أن يصحح قصده بنفسه، فوظيفة المرشد هنا فقط حماية المريد دون الزيغ بسبب الكشوفات لكن أمر القصد هو أمر حاسم على المريد أن يعلمه قبل أن يتوجه إلى الشيخ فذلك الشيخ يوصله الى الله ويجب أن يكون قصده اليه من أجل ذلك، وإن لم تكن له رغبة في الوصول وإلحاح عليه من البداية لا يقصد الشيخ، وقد يقصده من أجل الكشف والمشاهدة وهذا يعلمه الشيخ ولكن يقبله لفترة معينة حتى يعرف الحق ويصحح مقصوده، وإن لم يحدث له ذلك فإنه يترك صحبته ويخرجه من سلك

مريديه، ولكن للشيخ دور كذلك في تصحيح قصد المريد حيث أنه يظهر له فناء المشاهدات وعدم استمراريتها وعدم بقاءها فيظهر له النقص فيها، ويظهر له الكمال في الله عز وجل، بأن يقطع عنه تلك المشاهدات ثم يعيدها ثم يقطعها ثم يعيدها فيظهر له أنها لا تستحق أن تكون له مقصدا ومطلوبا ، فهذه بعض الطرق التي يعالج بها الشيخ مريده ويساعده على تصحيح قصده ولكن أصل تصحيح القصد يكون من نفس المريد والشيخ يعينه على ذلك. والله فضله عظيم فإن شاء أن يتجاوز بعبده العقبات ويوصله إليه قطع عنه المشاهدة حتى يتصحح قصده، وإن أمده ـ ومدد الله يسرى للصالح وغير الصالح من عباده ـ فإنه لا شك يهلك ويزيغ عن المقصود، والحمد لله رب العالمين.

3/ مقام

المقام الثالث من مقامات المشاهدة وهو مقام مشاهدة الإيقان، حيث يعلم المريد الحق من الباطل، وغالبا ما تأتي بعد تجاوزه لمقامات الإختبار، فإن نجح ترقى إلى مقامات مشاهدة الإيقان حيث تصير مشاهدته صحيحة يقينية لا غبار غعليها والهدف منها هو ترقي المريد في درجات اليقين ليصل من علم اليقين إلى عين اليبقين، وهذه المشاهدة تبقى راسخة عند المريد قد تنقطع لفترات محدودة من أجل الترقية، ولكن ميزتها أنها تترسخ في عقل المريد تذكرا فلا تنمحي منه، وفي قلبه إيمانا وإيقانا فلا يخرج من قلبه هذا الإيقان،

ومن علامات هذه المشاهدة:

1/ لا تحد ببرزخ الدنيا، وإنما تكون متصلة بباقي العوالم بل أحيانا تكون منكبة فقط على العوالم الأخرى غير متوجهة نهائيا إلى الدنيا

2/ تنصب على تثبيت عقيدة المريد وتختص بمشاهدة الحياة بعد الموت، ومشاهدة البرزخ وعوالم الصراط، وأحيانا الجنة والنار، وهذا كله إيقانا للمريد فإن بلغ لهذه المشاهدة لا يمكنه أن يكذب شيئا مما رآه، لأنها مشاهدة حق، وأي التفات له قد يؤدي إلى خروجه من طريق الله تعالى، وهذه مشاهدة خطيرة جدا على سير المريد لأنها تظهر له الحق عيانا ولا تترك له أي التباس ولا غموض عقدي أو منهجي، وبالتالي فقد عرف الآن، فعليه لزوم شيخه وإلا إن التفت عنه، فإنه يخرج من قائمة السائرين إلى الله تعالى.

3/ اتساع الأفق، فالمريد حينئذ يصير متصلا اتصالا ذاتيا بتلك العوالم فلا تبقى مجرد مشاهدات من ذاته بل ذاته الروحية تحضر عمليا في تلك السفر طينيته إلا اتساع أفق الذات الروحية وخفتها، وضيق أفق الذات الطينية وثقلها فيصير له سفر واحد ،

4/ اكتمال مقامات الكشف لدى المريد، فلا يحتاج لتفسير لما يراه بل تصير جهات نظره محررة غير مقيد بجهة النظر الست، وهذا اكتمال لمقام الكشف، وليس اكتمالا لمقامات المشاهدة بعد، لأن الكشف يرتبط بالمكشوف عنه وبزوال الستار عن بصيرته، والمشاهدة تختص بالمنظور إليه والمشاهد، وليس لها ارتباط بذات من يشاهد ذلك، فقد يغيب عن ذاته ويبقى في حال مشاهدة، وهذا كمال للمشاهدة، فلا يبقى له مجال للرجوع أو التراجع هو الآن وسط الحقيقة علم ما كان في عالم الأرواح وما سيأتي بعده، يعلم حياة البرزخ وأن الحساب شديد حيث سيحاسب على كل لمحة وطرفة، وذلك لعامة الناس أما هو سيحاسب بأشد من ذلك لأنه علم الحق وشاهده عيانا، وخطورة هذه المشاهدة تكمن في أنه يصير مسؤولا عن كل نفس يصعد فيه وينزل وكل طرفة تطرفها عينه فغفلته في طرفة واحدة قد تؤدي إلى حرمانه وإعادته إلى الباب وربما أكثر من ذلك، لهذا لا يعطى

هذا الصنف من المشاهدة للمريد حتى تكتمل تربيته ظاهريا فيصير لا يخالف الشرع قيد أنملة ويثبت ظاهره على الصراط المستقيم حتى لو بقي في باطنه شيء من النفس أو المقامات العليا لم تكمل تربيته بعد، لكنه يعطى له هذا الصنف من المشاهدة عند اكتمال تربية ظاهره لتعينه على تربية باطنه، كما أن النفس لا تكمل ولا تتطهر ولا تتزكى إلا من خلال هذا الصنف من المشاهدات، لأن طبيعة النفس التمني والتشهي؛ فكل شيء من خماسية الإنسان خلق من طبيعة معينة، فالعقل معدنه الوهم، والقلب معدنه المحبة، والروح فوق كل هذه المعادن ومعدنها نفخة الله وسره عز وجل، فإن تحققت بهذا السر فاضت على باطن المريد وعلى نفسه، فَتَصْبِغ باطنه وتغير معدن نفسه من معدن رغبة وشهوة وتمني إلى معدن حق ومشاهدة، فتذوب النفس في أنوار الروح لتصير غِشَاء شفافا يعكس أنوار الروح، فتبدأ النفس بدورها في المشاهدة مما يساعد في إكمال تربيتها، وهذا هو الهدف الأول من مشاهدة الإيقان.

أهداف هذه المشاهدة أربعة وهي:

1/ تحقيق المريد باكتمال اليقين.

2/ تثبيت عقيدته عيانا.

3/إكمال تربية نفسه لتتأهل لاستيعاب أنوار الروح، حيث تفيض عليها فَتَمْحِي معدنها في معدن سر الله.

4/ تكليف المريد حيث يصير مكلفا تكليف الروح، كما كلف تكليف الجسد من قبل، فالروح لها تكليف عندما تبلغ سن الرشد، وسن الرشد بلوغ الروح إلى مشاهدة الإيقان.

وحتى هذه الدرجة من المشاهدات تجد المريد مرتبطا بالعوالم فقط، وأغلبها عوالم برزخية حيث إنه مرتبط بشيخه ويسافر بإذنه في هذه المقامات الروحية ولكنه لم ينتقل إلى السفر فيه بعد، لأن السفر في الشيخ هو كمال في المريد وهو ما يوصله إلى أعلى درجات المشاهدة وهي مشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومشاهدة تجلي الله عز وجل لكن لا بد للمريد أن يسافر في العوالم مع شيخه قبل أن يسافر إلى رسول الله في شيخه. هذا والحمد لله رب العالمين.

4/ مقام مشاهدة الإرشاد:

المقام الرابع من مقامات المشاهدة وهي مشاهدة الإرشاد، وغاليا ما تأتي بعد مشاهدة اليقين، بهدف إرشاد المريد إلى إكمال سيره وحثه على ما يرضي الله عز وجل بِتَنَزُّل الخطاب من ربه على شيخه عليه، فيصير مُتَيَقِّنًا مما عليه القيام به عارفا لطريقه ومسلكه، ولا يَبْقَ له بعد هذه المشاهدة أي غموض، وهذا ما يسمى **بالوصول الأول**، وهو وقوف المريد على حق اليقين، وإرشاد الله له مباشرة عن طريق شيخه في الباطن، فيزول الغموض والشك والريب من طريقه ويصير سالكا على بصيرة من ربه، مَرْشُودًا راشدا بالله عز وجل وبنبيه صلى الله عليه وسلم يتلقى الأمر مباشرة من ربه، وهذا اكتمال لليقين السابق، لأنه يقين في عوالم الله، وهذا يقين في نفس المريد. فتدخل المشاهدة هنا في صنفها النوراني، الذي يبتدئ من مقام مشاهدة الإرشاد، وهي التي تربط بالله عز وجل..

أصناف المشاهدات:

1/ المشاهدة النورانية:

وهي كل مشاهدة تربط بالله عز وجل، وبِنَبِيّه صلى الله عليه وسلم، و بأولياءه الصالحين، هي مشاهدة نورانية إذ لا انفصال على الله في هذه المشاهدات، وبما أنه لا انفصال عليه أي لا توجه غيره، وهنا اكتمال مقام الإخلاص، ولا يدخل المريد في هذا الصنف من المشاهدات حتى يكتمل إخلاصه وتواضعه.

2/ المشاهدة الظلمانية: وتنقسم بدورها إلى نوعين:

أ/ المشاهدة الكشفية: وهي مشاهدة ترتبط بكل العوالم، ويكون مع تلك العوالم ارتباط بالله، وما يميزها هو احتواءها لتوجهين:

- **توجه للمشاهدة**، التي تكون مرتبطة بذاتها أو بأحد من المخلوقات.

- **وتوجه لله عز وجل**، وهو سير المريد في طريقه.

ومثال هذا النوع مشاهدة الإيقان التي مرت بنا في المقامات السابقة.

ب/ المشاهدة الشيطانية: هي مشاهدة ترتبط بكل العوالم ولا يكون معها ارتباط بالله. أي يكون فيها توجه واحد وهو توجه للمشاهدة في ذاتها. ومثال هذا النوع **مشاهدة الاختبار** التي تحدثنا عنها من قبل.

أما مشاهدة الإرشاد تكون نقطة تحول المريد من المشاهدات الظلمانية إلى المشاهدات النورانية، وتكون وسطهما أي بين الظلمانية والنورانية. ولمقام الإرشاد جملة من العلامات، من أهمها:

من علامات هذا المقام من المشاهدة:

أولا: معرفة المريد نفسه معرفة كاملة:

حيث تكون نفسه قد وصلت لدرجة كبيرة من الطهارة، واكتملت أغلب مقاماتها، ولكن لازال فيها من الريب ما تجد المريد محيط به، وهنا يصل إلى قمة التواضع.

ثانيا: اكتمال مقام التواضع والإخلاص في نفس المريد:

لا تتحقق هذه المشاهدة قبل اكتمال هذين المقامين فتجده لا يرى نفسه إلا أذل وأحقر خلق الله؛ لا يرى أحدا أقل منه، وتجد مقصوده هو الله عز وجل لا يحول بينه وبين ربه ولو حتى ذرة خردل من تعلق بالآخر.

ثالثا: تضمنها إرشاد المريد نفسه و إرشاده باقي الخلق:

فهذه المشاهدة لا تختص فقط بإرشاد المريد لذاته، وإنما تختص أيضا بإرشاد الخلق بشكل عام، حيث إنه يتنزل إليه من شيخه أمر إرشاده، وأمر إرشاد بقية المريدين أو بقية الخلق؛ وهذا لا يعني أنه صار بمنزلة شيخه فهو فقط تنزل من شيخه عليه، ويكون اختبارا للمريد كذلك، وهنا يختبر في إخلاصه وتواضعه ـ اللذان اكتملا في نفسه ـ ولكن إذا اكتملت تربية للمريد في شيء لا بد أن يختبر فيه، وفي الغالب لا يختبر قبل ذلك.

فإن نجح في هذا الاختبار يترقى المريد إلى المقام الموالي من مقامات المشاهدة، وإذا لم ينجح فإنه يطرد من الطريق نهائيا، وتنزل الإرشاد عليه يكون رحمة به ليَعْلَم أمره، ورحمة بباقي المريدين ليُوصِل إليهم ما يَنْفَعُهُم، لأن الشيخ ولو عَلِمَ بذلك فإنه لا يُخْبِر لأن مُهِمَّتَه الإرشاد وليس الإخبار والمكاشفة.

ولكن إذا تأهل المريد ووصل إلى هذا المقام أهديت له مهمة الإخبار والمكاشفة ـ هدية من الله عز وجل ـ فيُكَاشِف المريدين المبتدئين من أجل ترسيخ يقينهم، وأحيانا يُخْبِرهم بأمورهم وبما يحتاجون إليه رحمة بهم، فإن **أَخَلَّ ذلك بتواضعه** حينئذ **ينقطع انقطاعا كليا عن السير إلى الله تعالى**،أما إن **أخل بإخلاصه** وصار مقصوده التقدم والظهور **فإنه يطرد من رحمة الله** والعياذ بالله، فالله قد أهداه هدية منه ليقربه إليه، فإن عمل بتلك الهدية على إبعاد نفسه أبعده الله عز وجل.

لذلك على المريد أن يحذر من هذه الاختبارات، وأغلب اختباراته تكون مربوطة بالمشاهدة، لذا عليه أن لا يَأْمَنَهَا حتى يُؤَمِّنَه الله عز وجل منها بالنظر إلى تجليات وجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

5/ مقام مشاهدة التحقيق (حق اليقين):

أما المقام الخامس من مقامات المشاهدة وهي مشاهدة التحقيق أو ما يسمى بمشاهدة حق اليقين، حيث إن المريد يعيش في هذه المشاهدة بكليته بذاته، وروحه ومشاعره وارتباطاته، وعقله وقلبه، وهذه ما تسمى بالمشاهدة الحق، وهي فضب من الله عز وجل عليه، فهي أول مشاهدة تكون للمريد فضلا ونعمة وليس اختبارا ونقمة لأنه يكون قد سلم من أهواء نفسه، وتلاعباتها به، فقد سَلِمَ من الكبر والرياء، والحسد والحقد، وسلم من كفر النعمة ومن التعلق، ومن محبة غير الله عز وجل، وقد تصير نفسه في هذه المشاهدة إلى درجة الكمال فهي مشاهدة فضل تجد المريد فيها يتنعم بفضائل الله ونسائم قربه، فهذه مشاهدة نورانية حَقَّة، ولكنها قد تتحول إلى مشاهدة ظلمانية رغم نذرة حدوث هذا الأمر، لأن المريد يكون في مشاهدة حقيقية ولكنه لم يُؤْتَ مفاتيح التفسير بعد، ومفاتيح الإذن المحمدي مازالت عند شيخه ولهذا فإنه لم يَأْمَن بعد، و لا يأمن حتى يُؤْتَى تلك المفاتيح حتى يتحقق بذلك باطنيا و الإذن ظاهريا، ولا يحصل له هذا حتى يترقى إلى المستوى الموالي من المشاهدة وهي المقام السادس:" المشاهدة المحمدية" فيتحقق يقينا بحضرة سيدنا محمد فحينئذ يؤتى المفاتيح ولا يمكن أن يضل بعد ذلك.

لكن في هذا الصنف من المشاهدة قد توجد احتمالية زيغ المريد عن الطريق المستقيم رغم أنها مشاهدة نورانية إلا أنها غير كاملة بعد؛ فلا تَكْمُل ولا تَتَزَيَّن ولا تَتَثَبَّتُ إلا بعد مشاهدته واجتماعه مع سيد الوجود عليه الصلاة والسلام، فيرتقي بالنظر إلى وجهه الكريم إلى المشاهدة المحمدية.

وهذه المشاهدة لها أربعة مقاصد:

- **أولها وأهمها: هو تأهيل المريد للاجتماع بحضرة المصطفى** عليه الصلاة والسلام، وذلك بإكمال نفسه وتطهير عقله وتنوير روحه. لأنه في هذه المشاهدة تجده غير مُؤَهَّل للنظر إلى ذاته الشريفة بعد، وتجد تجليا واحدًا لبعض أنواره صلى الله عليه وسلم يَحْرِقُ المريد ويُدْخِله في حال من أحوال الصراخ أو البكاء، فكيف إن تجلت عليه ذاته كاملة؟، ولكن تتجلى تدريجيا أنواره صلى الله عليه وسلم؛ ففي كل نور تَجَلَّى عليه تترقى روحانية المريد إلى مشاهدة ذاته عليه السلام.
- **المقصد الثاني، هو إكمال شوق المريد إلى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم،** ـ لأن الشوق درجات وهذا مقال آخر إن تحدثنا فيه سيطول الحديث ـ، ولكن سنتحدث عن المقام الأخير من الشوق وهو الذي يكتمل في هذا المقام الأخير من المشاهدة حيث تجد المريد من شدة شوقه لا يغيب فكره عن رسول الله لمحة واحدة يقظة ومناما، والشوق مصاحب له و لكنه يزيد وينقص؛ فإن وضع اللقمة في فمه ووردت عليه نسائم من رسول الله وقفت اللقمة في حلقه فلا هي تدخل ولا هي تخرج، وتَخَشَّب جسده، وبَرَدَ برودة شديدة وتفصد بالعرق، ويظل حال المريد هكذا والشوق يزيد يوما بعد يوم، حتى يكتمل بأن لا يرى غير أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم طيلة يومه ولا يتفكر إلا فيه ولا يشعر إلا بتجليات أنواره، فإن اكتمل شوق المريد وتأهلت روحه بتجليات الأنوار حَقَّق المَقْصِدَيْن الأوليين من مقاصد مشاهدة التحقيق.
- **أما المقصد الثالث، فهو ربط المريد بعالم الغيب حقيقة ربط اتصال لا انفصال بعده،** إن لم يزغ في سيره، ليتحقق بحقيقة الحياة، وحقيقتها أن يعيش العبد في عالمين في زمان واحد، فإن عاش

في عالم واحد فحياته غير مكتملة بعد، وناقصة نقصانا شديدا، ولا نقول أنه دخل لمستوى الحياة لكنه لازال يعيش في ظلمات الوهم، فهو كالأنعام أو هو أضل منهم.

- **والمقصد الرابع، هو إكمال تربية المريد والختم على سيره بالوصول.** والتربية لابد أن تَصْحَبَهَا المشاهدات واليقين لتكون تربية كاملة وإلا تكون تربية ظاهرية فقط، و التربية الظاهرية لا تحتاج إلى مرشد، ولكن الهدف من صحبة المرشد هو تربية المريد ظاهرا وباطنا، فظاهرا هي الشريعة والسنة، وباطنا هي مشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه المشاهدة تؤهل المريد للاجتماع به صلى الله عليه وسلم، وتُؤَهِّلُه لتلقي أنواره والغوص في أسراره عليه الصلاة والسلام.

والمريد إن دخل هذه المشاهدة فإنه لا يعلم بذلك، ولكن من يعلم بذلك هو شيخه، ولا يعلم بذلك المريد حتى يترقى إلى مستوى مشاهدة ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم أنه كان في مقام مشاهدة الإرشاد قبل ذلك، وأنه قد ترقى في درجات المشاهدة دون أن يعلم، ولو علم بذلك لقل حرصه وقل حذره، وأمن من مكر الله تعالى، "أفأمنوا مكر الله،فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون"[7]، فلا يجب على المريد أن يعلم أنه دخل في مشاهدات الفضل و انقطعت عنه مشاهدات الاختبار والنقمة وإلا سوف يَأْمَن وتبرد همته، وهذا لا يليق بمن وصل إلى درجات عالية من القرب، بل يجب أن يبقى متوجها إلى الله لا إلى المشاهدة، متوجها إلى المتفضل غير متوجه إلى الفضل، متوجها إلى المعطي غير متوجه إلى العطاء، حتى ينتقل من العطاء و الفضل إلى المعطي والمتفضل، والانتقال لا يكون إلا عن طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين. مصحح

[7] ـ سورة الأعراف، الآية: 99

6/ مقام المشاهدة المحمدية:

المقام السادس من مقامات المشاهدة وهو مقام **المشاهدة المحمدية**، وهنا يدخل المريد إلى **المشاهدة المقصودة**، وكل ما قبل ذلك لم يكن إلا مشاهدة من أجل اليقين. وأحيانا قد يصل إليها المريد مباشرة من الحجاب إلى مقام المشاهدة المحمدية وهي المشاهدة المقصودة.ـ لكن هذا نادر جدا ـ. فأغلب المريدين يمرون من هذه السلسلة من المشاهدات مقامًا مقامًا، إلا إن شُوهِد أنهم سينحرفون بالمشاهدة وأنها لا تصلح لهم حُجِبُوا وأكملوا سيرهم حتى يصلوا إلى هذا المقام مباشرة.

وهذا المقام لا يعلمه إلا المشايخ لأن المريد قد يَخْلط ما بين باقي المشاهدات وهذه المشاهدة المحمدية، لأن باقي المشاهدات يكون فيها أيضا تجلي محمدي، ولكن ليست مشاهدة محمدية كاملة بعد. فلا تكمل هذه المشاهدة حتى يجتاز المريد سبعين ألف حجاب على أقل تقدير، وكل صنف من المشاهدة يحتوي على آلاف الحجب التي يجتازها المريد؛ فمع كل حجاب تزيد مشاهدة رسول الله وضوحا.

ومشاهدته سبع مستويات كبرى:

المستوى الأول: مشاهدة الحضرة الصورية:

وهي مشاهدة نوره صلى الله عليه وسلم، وتعتبر من أدنى مستويات مشاهدته صلى الله عليه وسلم التي يصلها المريد في مراحله الأولى في السير.

المستوى الثاني: مشاهدة الحضرة القلبية:

حيث يكون المريد قد وصل إلى درجة عالية من الشوق والمحبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الحضرة هي حضرة محبة تجمع المريد برسول الله صلى الله عليه وسلم، و أصل هذه المحبة منه صلى الله عليه وسلم من أجل تطهير المريد وتقوية باطنه وارتباطه به صلى الله عليه وسلم، ليترقى المريد إلى مستويات أخرى من مشاهدته صلى الله عليه وسلم، وفي هذا المستوى يكون عليه الصلاة والسلام حاضرا بحجاب من الجمال المصحوب بالمحبة التي تفيض منه على المريد.

المستوى الثالث: مشاهدة الحضرة الروحية:

حيث يصل المريد إلى المشاهدة بروحه حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، ومشاهدة الروح لا تعكس تجلي ذاته عليه السلام، وإنما تعكس وجوده الحق بحجاب من الهيبة والجمال وبأنوار روحِه تَلُفُّ جسده الشريف، فلا تصل مشاهدة المريد إلى ذاته لأن روحه تكون مُنْعَكِسَة على تجلي أنوار روحه صلى الله عليه وسلم.

المستوى الرابع: مشاهدة الحضرة الذاتية:

عندها يصل المريد إلى مشاهدة ذاته كما خلقها الله تعالى، فتلك حضرة ذاتية.

المستوى الخامس: مشاهدة الحضرة الحقيقية:

حيث يتجلى صلى الله عليه وسلم على المريد بذاته وحقيقته المتصلة بالله عز وجل، أي سِرَّ خَلْقِه، وسِرُّ خَلْقِه المحبة، وهذا أعلى درجة من تجلي الذات لوحدها.

المستوى السادس: مشاهدة الحضرة المحبوبية:

وهذه لا يصلها إلا المقربين ممن اختارهم الله تعالى، وهذه حضرة لا التفات بعدها، ولا ضياع بعدها، وإنما تضمن الوصول للمريد لأنها حضرة تتجلى فيها محبة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يبصم على المريد بالفناء فيدخل في ذلك النور، ليشهد تجليات الحق على ذات سيدنا محمد وروحه عليه الصلاة والسلام.

المستوى السابع: مشاهدة تجليات الله تعالى المُتَنَزِّلَة:

حيث يغيب المريد في مشاهدة تجليات الله تعالى المتنزلة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأعين سيدنا محمد، وهذا ما يجعله فَان عن ذات سيدنا محمد في تجلي الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا أعلى مقام من مقامات مشاهدته صلى الله عليه وسلم، الذي لا يطيقه إلا العارفون، ولا يصله إلا ثلاثة في الزمان فهو مقام مخصوص يجمع الوجود كاملا بين حضرة الله وحضرة نبيه صلى الله عليه وسلم، والمقصود من مشاهدة سيدنا محمد هو معرفة هذا السر المُتَنَزِّل من الله عليه والذي ما إن وصل المريد إلى هذا المستوى يعلم ذات السر وظاهره المتجلي فقط. أما باطنه فهو خصوصية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا يعلمها غيره، وهذا كمال مشاهدته، ولا تكمل مشاهدته صلى الله عليه وسلم إلا عند كمال اتصال المريد بمشاهدة الله تعالى له عليه السلام، ومشاهدته سره وتجليه و محبته العظمى التي فاضت على الكون فكانت محمدا.

حتى إذا وصل المريد لهذا المقام من مقامات المشاهدة يكون قد تأهل للانتقال إلى المقام الذي بعده، والحمد لله رب العالمين. مصحح

7/ مقام المشاهدة الإلهية:

يأتي مقام المشاهدة الإلهية بعد المشاهدة المحمدية التي هي باب هذه المشاهدة ومفتاحها. والباب والمفتاح هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه **المشاهدة تتجلى في صنفين:** مشاهدة تجلي وهي مشاهدة ناقصة في حقه عز وجل، وإنما تعكس بعض مظاهره، ومشاهدة اللَّا مشاهدة وهي الأكمل.

الصنف الأول: مشاهدة التجلي:

فأما مشاهدة التَّجَلِي فيصلها المريد بعد فناءه في الحجاب الأعظم، وهذا الحجاب هو آخر مستوى من مستويات مشاهدته صلى الله عليه وسلم، فإذا وصله تَجَلَّت عليه أنوار من ذات الله تعالى فيصير موصولا بربه بالمشاهدة والخطاب، يرى منه ما شاء الله أن يُرِيَه، وهذا التجلي لا يطيقه أحد من الخلق، لهذا لا يكون إلا بعد فناء المريد فناء كاملا تاما. وفي كل مستوى من مستويات المشاهدة يزيد فناءه، حتى إذا وصل إلى الحضرة المحمدية المحبوبية فنا فناء كاملا فلم يعد له وجود، فإذا شاهد تجليات الله عز وجل شاهدها به، أي يُشاهد نفسه من نفسه، أما إن تجلت ذرة واحدة من هذه التجليات على العالمين وهم بأنفسهم لأهلكتهم وأحرقتهم، فهذه التجليات لا يُنْظَر إليها إلا بمنظار سيدنا محمد، ومنظار سيدنا محمد هو منظار الله تعالى أي النظر إليها منها و بها، وتلك خصوصية يَصِلُها العارفون ويَذُوقُها الذائقون، ولا يَصِفُها الواصفون.

فهذه المشاهدة فضل محض من الله تعالى على من شاء من عباده، ولكن لا بد أن يتأهل العبد بتوفيق من الله تعالى في كل هذه المستويات من مقامات المشاهدة، ومن مجاهدة للنفس ودحضها حتى يصل المريد إلى هذا المقام، وهذا مقام الوصول، ومشاهدته الآن مشاهدة ثابتة لا تفنى لأنها من نظر الله إلى ذاته،

ونظره عز وجل باق لا فناء له، واتصال المريد بذلك النظر باق ببقاء الله عز وجل لأنه لم يَعُد مريدا وإنما فنا وجوده عن وجوده، فلا وجود له أصلا؛ فكأنه لازال في العدم، وكأنه لن يخرجِ من العدم أبدا، والعدم التجلي الواحد الكامل لذات الله، وذلك يعيشه العبد فيكون حَيًّا في عالم العدم، أي حيا بلا حياة، فلا حياة في عالم العدم إلا حياة الله تعالى، ولا يُؤْذَن لأي حياة أن تَحْيَ في عالم العدم إلا حياته عز وجل.

وعالم العدم ليس عالما منفصلا كباقي العوالم، بل هو عالم كان بلا بداية وباق بلا نهاية، فهو لا زال إلى يومنا هذا كما كان، والخلق لا يزيد فيه ولا ينقص شيئا، وهذه حقيقة مطلقة لا يعرفها إلا من وصل إلى هذا التجلي من تجليات الله عز وجل لأن الله واحد حي لوحده بحياته، ولا يمكن أن نقول أن حياة المخلوق تزيد شيئا مع حياته، لهذا فعالم العدم مستمر والعوالم الأخرى ليست خارجة عن عالم العدم، وإنما معدومة في عالم العدم إذ لا وجود لها مع الله تعالى فهذا أعلى ما يطيق العبد معرفته.

الصنف الثاني: مشاهدة اللَّا مشاهدة:

و تكون فيها المشاهدة ليست بمشاهدة ولا بحجاب، ولا باتصال ولا بانفصال، لأن ذلك الحق لا يحتاج إلى المشاهدة. فالأمر إن كان ظاهرا فالمشاهدة نقص في كماله، وهذا معنى عميق لا يُطِيقُه إلا العارفون، وقد نشبه ذلك تشبيها بسيطا: كأن تكون في حضرة ملك وأنت جالس معه، فتقول له: أنا أراك الآن.. فأين كان من قَبْلُ لتراه الآن؟ وهل هو مستور لِتَنْظُر إليه؟ فذلك نقص حتى في البشر، فكيف بأن لا يكون نقصا في كمال الله عز وجل، فالآن ـ في هذه المشاهدةـ الحق ظاهر، ومشاهدته لا تحتاج إلا مشاهدة لأن عالم العدم لا حياة فيه ولا مشاهدة فيه، لأن المشاهدة مخلوقة والسمع مخلوق من تَجَلٍّ لصفات الكمال في الله لتكون

في الخلق نقص بكماله، فإذا وصل العبد إلى مقام الكمال بالله تعالى انتفت عنه هذه النقائص.

وصفات الله عز وجل ليست كما يفهمها الخلق، فمثلا: صفة البصر لا تعني أن الله يشاهد عبده أو ينظر إليه، وإنما ذلك قد يكون للعبد أن الله يشاهدك فاحذر من معصيته، أما صفته في عِزِّ كمالها لا تحتاج إلا المشاهدة، لأن المشاهدة مقرونة بالزمان والمكان والجهة والكيفية و الأداة والعضو المخلوق.. وهذا ما تَنَزَّه عنه الله سبحانه، وتنزه عنه كل من دخل في كماله وحيا بحياة **هو**، ففنا عن وجوده فذلك حي بحياة الله في عالم العدم.

وهذا هو ما يُقْصَد به حقيقة الوصول إلى الله تعالى، والوصول إلى الله ليس ذهابا أو مشيا أو انتقالا من مكان ليصل إلى مكان، وإنما مُرَادِف وصول العبد إلى الله فناء العبد وبقاء مولاه، و الفناء يفنا عن الكلام فيبقى بقاء الله، وبقاء الله لا يحتاج إلى دليل والمشاهدة قد تعتبر دليلا على ذلك، فمثلا: إن كان يجلس معك إنسان فأنت لا تتأكد من وجوده معك حتى تنظر إليه، أما إن كنت أعمى فأنت لا تثبت وجوده ولا تنفي وجوده، أما وجود الله فمَثْبُوتٌ، و قد تَنَزَّه عن هذا.

فهذا ما تطيقه عقول الخلق من كلام، والباقي يصل إليه المريد فيعرفه ليصير عارفا فلا يحتاج بعد ذلك إلى الكلام، والحمد لله رب العالمين. مصحح

الحمد لله رب العالمين